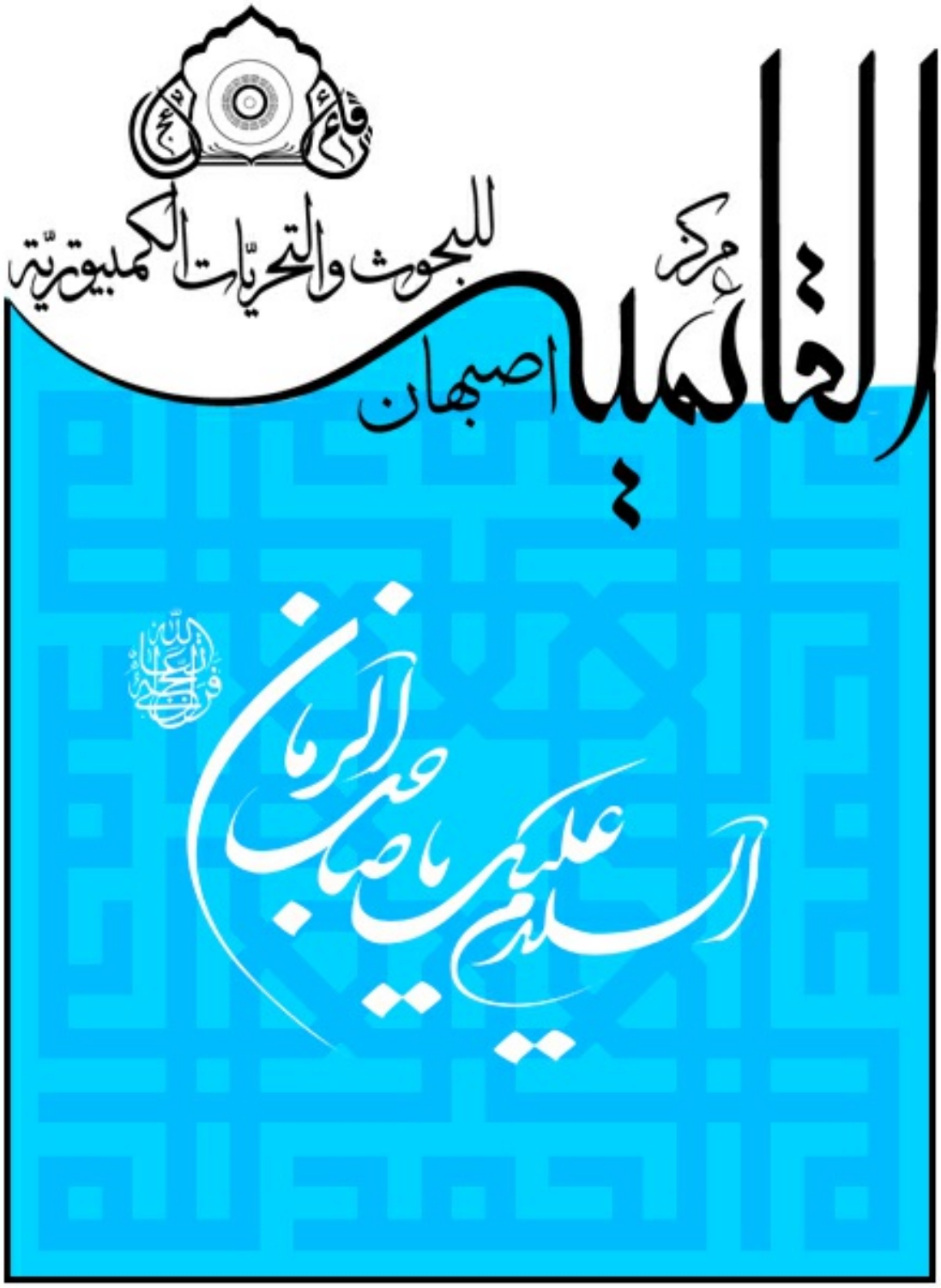

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أ.د. بشير السيد البديلي

الإعجاز العلمي في القرآن

دار وحي الفكرة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

الاعجاز العلمی فی القرآن الکریم

کاتب:

سید جمیلی

نشرت فی الطباعة:

دار و مکتبة الهلال

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الإعجاز العلمی فی القرآن(للجمیلی) ----- ۷

اشاره ----- ۷

اشاره ----- ۷

إهداء ----- ۱۱

مقدّمه ----- ۱۴

ثمّ استوی إلی السّماء و هی دخان ----- ۲۱

الفتق و الرتق للسّماوات و الأرض ----- ۲۳

خلق السّماوات و الأرض ----- ۲۵

سبع سماوات ----- ۲۷

منازل القمر ----- ۲۸

نقص الأرض من أطرافها ----- ۳۱

مرج البحرین یلتقیان ----- ۳۳

أنواع الجبال ----- ۳۵

کرویّه الأرض ----- ۳۶

بروج السّماء ----- ۳۷

الشمس تجری لمستقرّ لها ----- ۳۸

و الأرض بعد ذلک دحاها ----- ۴۱

تنبّؤ القرآن الکریم بوسائل المواصلات الحدیثه ----- ۴۲

و إذا العشار عطّلت ----- ۴۳

الغوّاصات و المتفجّرات ----- ۴۴

مستحدثات علمیّه سبق إلیها القرآن الکریم ----- ۴۷

لا یغرب عنه مثقال ذرّه ----- ۴۸

الذی یصعد فی السّماء ----- ۵۰

السّنه الشمسیّه و السّنه القمریّه ---- ۵۱
الرّیاح لواقح و بشری ---- ۵۳
رحمه اللّه فی اللیل و النهار ---- ۵۴
یخرج الحیّ من المیت و یخرج المیت من الحیّ ---- ۵۸
و ذکّرهم بأیّام اللّه ---- ۶۱
مواقع النّجوم ---- ۶۳
اتّساع الکون باستمرار ---- ۶۶
توازن الکره الأرضیّه ---- ۷۰
الحیاه علی الکواکب الأخری ---- ۷۴
سرعه دوران الجبال ---- ۷۹
فی کلّ شیء له آیه ---- ۸۲
عجائب المملکه الحیوانیّه ---- ۸۴
الغرائب فی عالم النّبات ---- ۸۵
التزواج فی المملکه النباتیه ---- ۹۰
النباتات المائیه ---- ۹۲
النباتات المتوحشه ---- ۹۲
المملکه الحیوانیّه و المملکه النباتیّه ---- ۹۴
اللؤلؤ و المرجان ---- ۱۰۱
حال الجبال یوم القیامه ---- ۱۰۳
رأی الشیخ محمّد عبده و مناقشته ---- ۱۱۰
تعریف مرکز ---- ۱۱۵

الإعجاز العلمی فی القرآن(للجمیلی)

اشاره

نام کتاب: الإعجاز العلمی فی القرآن(للجمیلی)

نویسنده: السید الجمیلی

موضوع: اعجاز علمی

تاریخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار و مکتبه الهلال / دار الوسام

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۲۰۰۰

نوبت چاپ: بی نا

ص: ۱

اشاره

إهداء

إلى روح الرجل الكبير فى تواضعه و سماحته و حلمه..غفر اللّه ذنبه، و خفف حسابه،و تغمده بغفرانه،و مهد له فى أعلى جناته...أكرم اللّه مرجعه،و رحم مصرعه،و برّد مضجعه..جعل اللّه فرطاته مغفوره، و حسناته مشكوره...نوّر اللّه برهانه،و خلع عليه رضوانه،و فسح له جنانه و جعل ما نقله إليه خيرا مما نقله عنه،و أفاض عليه الرحمه السابغه عليه،و لقنه الحجه البالغه بين يديه.كان تقيا ورعا مخبتا خاشعا و التقوى أقوى مجن و أوقى ظهير.

إلى المرحوم الأستاذ الدكتور الحسين هاشم وكيل الأزهر السابق.

ص: ۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

ص: ٧

مقدّمه

أمرنا اللّه سبحانه و تعالى أن نتدبر مخلوقاته،و نتأمل دقيق و متقن صنعه،فإذا كان القرآن كتاب اللّه المقروء،فإن الكون هو كتاب اللّه المنظور.

و المسلم مأمور بأن يتدبر آيات اللّه الكريمه،و أن يعمل عقله و فكره و وجدانه فى فقه معانيها،و فهم مدلولاتها حتى تطمئن جوارحه،و تستقر خواطره إلى أن القرآن تنزيل رب العالمين حجه على العقل الإنسانى و على أهل الأرض قاطبه من بنى البشر أجمعين.

العلم حجه على أهله لأنه مناط التكليف.

و لأن العلم جعل العقل البشرى لا يقبل القضيه إلا إذا كانت مشفوعه بالبرهان، و لا يرجح راجحا على مرجوح إلا بدليل،ثم هو يستطيع التفرقه بين الأدله من قطعى إلى ظنى،إلى متردد بين هذا و ذاك و فى كل هذه الأحوال له أن يقف على ما يثق فيه،و يطمئن إليه،حسب مقدرته من التقييم،و رصيده من التجريب و الممارسه، فهناك من يأخذ بالظنه،و يقول عليها،و هناك من يطلب الدليل القطعى الذى يعطيه واقعا لا يرقى إليه حدس أو ريبه.

و مجالات الحدس يكثر أعمالها فى المبهمات التى لم يقطعها و لم يفصل فيها أمر قاطع، و المظنون أن تخضع لترجيحات العقل و الفهم.

و لا أحد ينكر أن الإيمان عن علم و بصيره و يقين هو أرقى و أشرف درجات

الإيمان لأنه بذلك يكون قد حقق ما قد أريد منه و أنيط به.قال تعالى: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۱).

و خطاب القرآن ليس مقصورا على العرب الأميين،و لا هو بمقصور على أبناء القرن العشرين،و لكنه عام مطلق لكل عصر،و لكل مكان فليس من المعقول، و ليس من المقصور أن يظل تفكير الإنسان ثابتا على نسق واحد فى جميع العصور.

و لكن التفكير العصرى شىء و إقرار النظريات العلميه المتجدده شىء آخر،و نحن مطالبون بأن نفهم القرآن الكريم فى عصرنا كما كان يفهمه العرب الذين حضروا الدعوه المحمديه،لو أنهم عرفوا ما عرفناه،و تعلموا ما تعلمناه نحن (۲).

و نحن اليوم نستفيد من الاكتشافات العلميه،و المستحدثات الحضاريه التى أربت على كل تصور،و بلغ العلم مراحل خطيره من التفوق و النفاذ إلى ما لم يخطر قبل ذلك على قلب بشر،و لم يتوقف عند حد إنما لا يزال المتوقع و المأمول أن المستقبل فيه الأكثر و الأكثر من المغريات.

و لا أحد ينكر إفادتنا من آراء المفكرين،و العلماء النظريين و التجريبيين إفادات و إدراكات نافعه فى التأمل و النظر دون الإيمان بصحه كل خبر،و صدق كل نظريه، و صواب كل رأى.

و مطلوب منا فى آن واحد أن نؤمن بآيات اللّه المنزله،لقوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها ۳كذلك فالأمر بتدبر آياته الكونيه واجبول

۱- الذاريات(۲۱/۵۱)قال ابن عباس رضى اللّه عنه:«يريد اختلاف الصور،و الألسنه،و الألوان، و الطبائع،و السمع و البصر و العقل»راجع تفسير الخازن(۲۰۳/۴)قال قتاده:«من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق،و لينت مفاصله للعباده»انظر تفسير ابن كثير(۲۳۵/۴).

۲- انظر الفلسفه القرآنيه للأستاذ عباس محمود العقاد ص ۲۰۶ ط.كتاب الهلال-العدد ۲۲۹ سنه ۱۹۷۰.بتصرف.

بل فریضه لقوله تعالی: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ، اَلَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ،وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ،رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ (۱).

و القرآن الکریم حافل بالإشارات العلمیه الکونیه و کل منها یدعو الفطره الموحده لمزید من التوحید،و الخشوع و الخشیه و الإخبات للحق سبحانه و تعالی،و أکثر الناس إدراکا لها المتخصصون فی الکونیات و علوم الطبیعه.

و یأتی عظیم مدلول الآیات الکریمه أنها تتناول الجانب العلمی الفیزیائی علی لسان نبی أمی لم یکن یقرأ،أو یکتب،کما لم یکن یختلف قبلها إلی معلم أو مدرس...أمر غریب محیر حقا أن تأتی هذه الإعجازات العلمیه علی قلب رجل کان راعیا للغنم فی نشأته الأولی،ثم استغل بالتجاره صبیا،و أکثر هذه الإعجازات لم یصل العلم إلی بعضها إلا مؤخرا.قال تعالی: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۲).

و قد تنوعت مذاهب العلماء و مصنفاتهم فی التفسیر فمنهم من جنح إلی التفسیر بالمأثور کما فعل الإمام محمد بن جریر الطبری فی«جامع البیان»،و الإمام السیوطی فی تفسیره«الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور».

و بعض العلماء جنح إلی التفسیر بالرأی مثل الإمام الفخر الرازی فی تفسیره).

۱- آل عمران(۱۹۱،۳/۱۹۰).یقول الإمام الزمخشری رحمه اللّه:«ما خلقت هذا باطلا»علی إراده القول.أی یقولون ذلک و هو فی محل الحال بمعنی یتفکرون قائلین،و المعنی:ما خلقته خلقا باطلا- بغیر حکمه بل خلقته لداعی حکمه عظیمه،و هو ان تجعلها مساکن للمکلفین و أدله لهم علی معرفتک و وجوب طاعتک و اجتناب معصیتک و لذلک وصل به قوله فَقِنا عَذابَ النّارِ لأنه جزاء من عصی و لم یطع»الکشاف(۴۸۸/۱).

۲- العنکبوت(۴۸/۲۹).قال ابن عباس رضی اللّه عنهما:کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أمیا لا یقرأ و لا یکتب.انظر تفسیر الطبری(۴/۲۱).

الكبير المسمى«مفاتيح الغيب»و الألوسى فى كتابه القيم«روح المعانى»و البيضاوى فى«أنوار التنزيل»لكن الإمام الزمخشرى فى«الكشاف»جنح إلى التفسير البلاغى و قد اختار أبو حيان التفسير النحوى«البحر المحيط».بل الإمام القرطبى اختار الجانب الفقهى فى تفسيره الشهير«الجامع لأحكام القرآن».

و كان أمرا محتوما أن يظهر أخيرا التفسير العلمى مختارا لأنواع شتى من الاشارات العلميه للحقائق الكونيه.و محاوله التوفيق بين الإشارات القرآنيه و الحقائق العلميه فتحت بابا للاجتهاد و البحث لم يكن مطروقا من قبل.و قد لاقى التفسير العلمى قبولا من بعض العلماء الذين أرادوا أن يتسع رصيدا للأدله التى تيسر ولوج الإيمان إلى قلوب الناس،و أيدوا ذلك بقوه ليتسنى للإسلام التمشى مع التطور العلمى المعاصر الذى بلغ شأوا بعيدا فى هذا العصر الذى أصبح الناس فيه مضمونين فى الأسباب.لكن تيارا آخر ظهر معارضا للتفسير العلمى،و هذا التيار معذور لإشفاقه و حيطته و حذره أن يختلط الفهم أو يكون ذلك داعيا لفتح باب شديد الخطوره غير مأمون المغبه و العاقبه،فإن ربط التفسير القرآنى بتلك النظريات أو الحقائق المتغيره غير الثابته يضر إضرارا بليغا و يسبب فتنه شرسه لا مزيد عليها.

و قد قدم الشيخ طنطاوى جوهرى تفسير«الجواهر الحسان»فى التفسير العلمى (۱)،كذلك الأستاذ حنفى أحمد فى كتاب«التفسير العلمى للآيات الكونيه» و الدكتور عبد اللّه شحاته فى كتابه«تفسير الآيات الكونيه»و الدكتور محمد أحمد الضمراوى فى كتابه«الإسلام فى عصر العلم»و الذى قدم له الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى.

و قد ثبت أن الفريقين-المؤيد و المعارض للتفسير العلمى-كلا منهما قد أغرق (۲)فى مذهب و بالغ فى رأيه.ه.

۱- راجع كتاب(فى ملكوت السموات و الأرض)للأستاذ على عبد العظيم-الكتاب السابع من سلسله البحوث الاسلاميه ص ۱۰ و ما بعدها بتصرف.

۲- أغرق إغراقا:اشتط و بالغ مبالغه.

فالذين جنحوا للتفسير العلمى،قيل لهم إن الكشوف العلميه تتغير من جيل إلى جيل لأن العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس،و غدا ينقض ما أبرمه اليوم (۱)، لكن القرآن الكريم ثابت لا- يتغير،لأنه لا- يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد.

و من الفساد المشين أن تربط متغيرا بثابت لا يتغير،و من الخطأ أن تربط آيات القرآن الكريم بمفاهيم تختلف فيها و جهات النظر اختلافا شديدا.

كذلك فالذى لا شك فيه أن التيار الآخر الذى أنكر الإشارات العلميه قد أخطأ الرأى و التقدير لأنه يتجاهل جانبا بالغ الأهميه من الإشارات العلميه التى أشار إليها القرآن الكريم و هى دعوه للتدبر فى ملك اللّه سبحانه و تعالى و ملكوته (۲).

قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (۳).

و آيات اللّه الكونيه تهيب بالغافلين أن يتدبروها،و يعملوا فيها عقولهم،و أفهامهم، إلا أن كثيرا منهم يصدفون عنها:قال تعالى: وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَهٍ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (۴)).

۱- و قد لوحظ أن آراء الشيخ طنطاوى جوهرى العلميه فى تفسيره قد تغيرت تماما،و تحولت من النقيض إلى النقيض.

۲- تأمل قوله تعالى: وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها النمل(۹۳/۲۷).

۳- فصلت(۵۳/۴۱).قال مجاهد و السدى و المنهال بن عمرو:«فتح القرى»و«فى أنفسهم»فتح مكه، و هذا ما ورد فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(۳۷۴/۱۵)و فى البحر المحيط لأبى حيان (۵۰۵/۷)و هذا هو المختار عند الإمام الطبرى فى جامع البيان(۴/۲۵).

۴- الأعراف(۱۸۵/۷).

و القرآن یکرم العلماء العاملین و قد أناط بهم فهم آیاته و معرفه حقیقه المراد منها.

قال تعالی: وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ (۱).

و الدارس للقرآن الکریم یأخذ و ینهل منه علی قدر قدرته علی الاستیعاب،و درجه یقینه و إیمانه،و حسب ثقافته العلمیه و معارفه العدیده،و دقه استنباطه و عمق دربته و اتساع مداارکه.

قال تعالی: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ (۲)و کثیر من الآیات الکریمه أوردها الحق سبحانه و تعالی عن خلق الإنسان و حیاته و أطواره المختلفه و قد تناولناها فی تفصیل و بسط علمی دقیق فی کتابنا:«الإعجاز الطبی فی القرآن» (۳)و هی قضایا غایه فی الأهمیه جدیره بالتدبر و التأمل خلیقه بالبحث و الدراسه،و من المحتوم أن یقف علیها کل دارس و باحث و مرید التعمق فی فهم کتاب اللّه فهما علمیا نافعا کما أمر سبحانه و تعالی.

و صفوه القول و مجمل الموضوع أن نأخذ بالتفسیر العلمی للقرآن علی حذر شدید، و فی حیطه بالغه و احتراس و حذق و فطنه،فلا تحمّل الألفاظ فوق ما تطیق،و لا یجب الصرف عن الظاهر إلا لضروره تقتضی ذلک،أو فی حاله استحاله المعنی الظاهر.

و من الخطر،و من غیر المقبول أن یوصد جانب العلوم الکونیه المأهول فی القرآن الکریم و هو من أمتع ما فیه إذ یتسع المقام به لمخاطبه الأفهام الواعیه المدرکه المجربه.

و حسب العلماء تکریما أن خوطبوا فی القرآن الکریم بأنهم یخشون اللّه بأسلوب القصر فی قوله تعالی: إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ (۴)و جاءت هذه الآیه بعد قوله تعالی:).

۱- العنکبوت(۴۳/۲۹).

۲- التین(۴/۹۵).

۳- کتاب«الإعجاز الطبی فی القرآن»تألیف السید الجمیلی و قد صدرت طبعته الأولی سنه ۱۹۷۷ م. و الأخیره بدار الهلال ببیروت فراجعه إن شئت.

۴- فاطر(۲۸/۳۵).

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها،وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها،وَ غَرابِيبُ سُودٌ، وَ مِنَ النّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ (۱) .

أسأل اللّه أن يهدينا سواء السبيل،و أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم إنه خير مأمول و أكرم مسئول.

القاهره فی ديسمبر سنه ۱۹۸۶ م.

السيد الجميلی).

۱- فاطر(۲۷/۳۵).راجع تفسير مختصر ابن كثير(۱۴۶/۳)و القرطبی(۳۴۲/۱۴)و ما بعدها و جامع البيان للطبری(۸۶/۲۲).

ثمّ استوى إلى السّماء و هى دخان

قال تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ، فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۱).

يقول المفسرون:المعنى:ثم عمد سبحانه و تعالى إلى السماء،و هى دخان،فقصد إلى تسويتها و هى بهيئه الدخان،قال الإمام ابن كثير:

المراد بالدخان بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض (۲).

و قوله تعالى: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً،قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ أى استجيبا لأمرى طائعتين أو مكرهتين(قالتا)أى السماء و الأرض أتينا طائعين أى مذعنين للأمر (۳).

قال ابن عباس رضى اللّه عنهما:قال اللّه تعالى للسماء:أطلق شمسك و قمرك و نجومك،و قال للأرض:شققى أنهارك و أخرجى شجرك و ثمارك طائعتين أو كارهتين،قالتا أتينا أمرك طائعين (۴).

۱- فصلت(۱۲،۱۱/۴۱).

۲- راجع مختصر ابن كثير(۲۵۷/۳).

۳- يقول صاحب الكشاف:أى أنه تعالى أراد تكوينها فلم تمتنعا عليه،على التمثيل و كانتا فى ذلك المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع و الفرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات من غير خطاب أو جواب»أ ه.انظر الكشاف(۱۴۸/۴)بتصرف.

۴- راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(۳۴۳/۱۵)ط.دار الكتب المصريه.

و فی قوله تعالی: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ أی صنعهم و أحکمهم (۱).

یقول الفخر الرازی:قضاء الشیء إنما هو إتمامه و الفراغ منه،و الضمیر فی قوله فَقَضاهُنَّ و یجوز أن یکون ضمیرا مبهما مفسرا بسبع سماوات و الفرق بین النصبین أن أحدهما علی الحال،و الثانی علی التمییز (۲).

و فی قوله تعالی: وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها أی جعل فی کل سماء ملائکه (۳).

یقول الأستاذ محمد اسماعیل إبراهیم:

«یقول العلم إن المقصود بکلمه الدخان فی الآیه الکریمه و هو السحب الکونیه،أو المجرات التی نشأت فیها السماء و الأرض،و السموات السبع التی ورد ذکرها فی کثیر من الآیات هی علی أرجح الأقوال الکواکب السبع السیاره المعروفه،و أن الیومین المذکورین فی الآیه هما فی رأی علماء الجیولوجیا الزمنین اللذین استغرق کل منهما ملایین السنین لتکوین هذه السموات،و أحد هذین الزمنین انقضی وقت أن کانت الأرض مرتوقه أی متصله بالسدیم،و الآخر بعد أن انفتقت الأرض أی انفصلت عن السدیم» (۴).ی.

۱- القرطبی(۳۴۵/۱۵)و البحر المحیط لأبی حیان(۴۸۸/۷).

۲- راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی(۱۰۸/۲۷)بتصرف.

۳- علی ما ورد فی تفسیر الطبری(۶۴/۲۴).

۴- انظر کتابه«القرآن و إعجازه العلمی»ص ۵۹ ط.دار الفکر العربی.

الفتق و الرتق للسّماوات و الأرض

نشأت الأرض و السماء أول أمرهما ملتصقتين معا داخل السديم الذى يكتنفهما،ثم يحدث الكثير من الانفجارات الذاتيه داخل جسم السديم نتيجه غاز الهيدروجين Hydrogen ions فكان محتوما أن تنفصل السماء عن الأرض نتيجه هذه السلسله المتصله من الانفجارات غير المتوقفه و التى أنيط بها تكوين كل مجرات و أجرام السماء.

قال تعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه:

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما أى كانتا شيئا واحدا متصلا ببعضه،و من ذلك القول:هو يرتق الفتق أى يسده (۱).

قال بعض المفسرين:يقال كانتا مصمتتين،ففتقنا السماء بالمطر، و الأرض بالنبات (۲).

و من سنن الحق سبحانه و تعالى فى خلقه و مصنوعاته أن يكون أثر

۱- كذلك يقال للمرأه رتقاء.انظر الطبرى(۱۴/۱۷).و الاستفهام فى الآيه الكريمه للتوبيخ لمن ادعى مع اللّه آلهه.و قال الحسن و قتاده:كانت السماوات و الأرض ملتزمتين،ففصل اللّه بينهما بالهواء.راجع تفسير القرطبى(۲۸۳/۱۱).

۲- و هذا هو الرأى المختار عند الطبرى(۱۵/۱۷).

القدره واحدا فی کل أنواع المخلوقات و هذ أعظم دلیل و أدق برهان علی وحدانیه الخالق.

و لقد بیّن اللّه سبحانه و تعالی بهذه الآیه أن العالم المادی غیر الحی فی السموات و الأراضین قد خلق بنظام واحد،رتق ثم فتق،و أن العالم المادی أیضا مخلوق بسنه واحده،و هی أن جعل الماء سببا فی خلق کل الأحیاء،لقوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ فی بقیه الآیه و بعد هذه مباشره (۱).

قال تعالی: وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ، وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ (۲).

و الرجع هو المطر،و قد أقسم سبحانه و تعالی بالمطر الذی ینزل من السماء و یتکرر علی الأرض ذات الصدع و الشقوق التی تنشق بالمطر عن النبات،أن القرآن فصل بین الحق الأبلج و بین الباطل الزاهق المرصوص، و أن هذا التنزیل لیس فیه شائبه من مریه أو لهو أو لعب.و هنا لطیف معنی دقیق أشار إلیه القرآن الکریم ألا- و هو إرجاع السماء للأرض ما یصعد من البحار و المحیطات الأرضیه من بخار الماء vapour water الذی تتکون منه السحب المتکاثفه التی تستحیل بعد ذلک إلی أمطار غزیره علی بقع متناثره علی سطح الکره الأرضیه.ع

۱- انظر«التفسیر العلمی للآیات الکونیه فی القرآن»للأستاذ حنفی أحمد،ص ۲۲۶ و ما بعدها.ط. دار المعارف.الثالثه.

۲- الطارق(۱۲،۱۱/۸۶)راجع الطبری(۹۴/۳۰)و القرطبی(۱۰/۲۰)و البحر المتوسط (۴۵۶/۸).قال ابن عباس:الرجع هو المطر،و عنه هو السحاب فیه المطر، وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ

خلق السّماوات و الأرض

قال تعالى: هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّامٍ،وَ کانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (۱)یقول الشیخ الصابونی:أی خلقها فی مقدار سته أیام من أیام الدنیا،و فیه الحث علی التأنی فی الأمور فإن الإله القادر علی خلق الکائنات بلمح البصر خلقها فی سته أیام (۲).

و فی الآیه الشریفه دلیل علی أن العرش و الماء کانا مخلوقین قبل السموات و الأرض (۳).

و لقد خلق الحق سبحانه و تعالی السموات و الأرض و ما فیهما فی سته أیام حیث لم یکن قبل ذلک إلا الماء و من فوقه عرش اللّه سبحانه و تعالی:

قال ابن عباس رضی اللّه عنهما:أن السماء هی کل ما أظلک و علاک.

و السماء تشمل و تعنی کل طبقات الغلاف الجوی القریب و البعید کما أن کلمه(العرش)بمعنی سریر الملک.

و لکن أیام اللّه سبحانه و تعالی لا یعلم مداها إلا هو وحده،و قد أثبت

۱- هود(۷/۱۱).

۲- تمطر ثم تمطر،و قال قتاده:ترجع رزق العباد کل عام،و لو لا ذلک لهلکوا و هلکت مواشیهم. وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ قال ابن عباس:هو انصداعها عن النبات.راجع تفسیر ابن کثیر (۴۹۸/۴)بتصرف.

۳- راجع کشاف الزمخشری(۳۸۰/۲).

العلماء الجيولوجيون أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها بعوامل خارجيه طارئه عليها،ثم ابتعدت شيئا فشيئا و ارتمت بعيدا فی الفضاء کره ملتهبه،تحتوی فی أحشائها مواد منصهره و یحیط بغلافها غازات کثیره کثیفه و أبخره تشع حراره مرتفعه فی الفضاء حتی تبرد رویدا رویدا (۱).

و قد استغرقت عمليه تبريد الأرض هذه ملايين السنين التی وردت فی القرآن الکریم سِتَّةِ أَيّامٍ و بعد تمام بروده الأرض أو القشره الأرضیه تکاثرت فوقها غازات کثیفه و أبخره عظیمه نجم عنها أسراف من السحب المتراکمه التی ظللت الأرض بجو قاتم تخلله البرق و الرعد و انهمر علیها المطر فتکونت من جراء ذلک البحار و الأنهار و المحیطات (۲).ی.

۱- راجع«القرآن و الاعجاز العلمی»(ص ۶۷)بتصرف.

۲- و قد تسربت کمیات من ماء المطر المنهمر خلال شقوق الأرض،و تکون منه المیاه الجوفیه، و باستمرار هطول هذه الأمواه صار وجه الکره الأرضیه طمورا بالماء قد غشیته من جمیع الأنحاء،من ثم کانت الأرض علی هیئه کتله مائیه ضخمه سابحه فی الفضاء الکونی.

سبع سماوات

خلق اللّه سبحانه و تعالى الأرض ذلولا- للإنسان يحيا فيها مرزوقا بالمأكل و المشرب،و البيئه و المناخ الملائمين لحياته و نشاطاته،ثم توجهت قدرته إلى السماء فعمد إليها إذ جعلها سبع سماوات.

قال تعالى: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ،وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۱).

قال الحائدون عن الصواب-بحسن نيه طبعا-أريد بالسماوات السبع مدارات الكواكب السياره التابعه للمنظومه الشمسيه التى تدور حول الشمس.

و قد وهم هذا الرأى الإمام محمد عبده رضى اللّه عنه-رغبه منه فى التفهيم-و رأى البعض أنها ربما أريد بها طبقات الأرض (۲).

و لكن للعقل أن يذهب فى تأويلها أى مذهب كيفما شاء بشرط ألا يتعارض فى أى منها مع نص شرعى واضح،كذلك عليه أن يجعل هذا التصور مجرد رأى ظنى راجح لا- يصل إلى درجه من درجات اليقين إلا إذا اتصل بعنصر الثبات.و قد وردت فى المعانى العلميه و الإشارات الكونيه لهذه الآيه آراء غير شديده ضربنا عنها صفحا و لم نشأ مجرد سردها أو مناقشتها لأنها غير جديره بذلك.

۱- البقره(۲۹/۲).قيل إن كل من كان يعمل عملا فتركه بفراغ أو غير فراغ و عمد لغيره،فقد استوى له،و استوى عليه.راجع رأى الطبرى أيضا فى ذلك فى جامع البيان(۴۲۹/۱).

۲- و هذا رأى باطل أيضا غير متوافق مع العلم أو المنطق.

منازل القمر

قيل إن القمر قد اقتطع من الأرض عند ما كانت الأرض مائعه،و لو صح قول هؤلاء الزاعمين كان عمر القمر هو نفس عمر القشره الأرضيه عند ما بدأت تبرد و تتجمد،و الأرض أثقل من القمر ۸۲ مره.و قد بلغ بعد القمر عن أرض مسافه ۲۴۰,۰۰۰ ميلا،و لكن قطر الأرض يبلغ نحوا من ۸۰۰۰ ميلا.

و قطر القمر يزيد قليلا عن ربع قطر الأرض.

و يوجد بالقمر فوهات و براكين و وهاد و جبال مختلفه الأشكال و الهيئات،و عليه قمم مرتفعه شاهقه.لكن العلماء انتهوا إلى أن القمر خلو من الماء كما لا يوجد عليه هواء،و هو بلقع و خراب يباب.

و ترى الأرض قمرا عند سطح القمر،و يدور القمر حول الأرض، و الأرض تدور حول نفسها و حول الشمس و كذلك القمر يدور حول نفسه و حول الأرض فى آن واحد.

قال تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها،ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (۱).

و معنى الآيه عند جمهور المفسرين:و القمر جعلناه منازل كالشمس،

۱- يس(۳۸/۳۶،۳۹).و قد قرئت لا مستقر لها أى لا قرار و لا سكون لها،بل سائره ليلا و نهارا،لا تفتر و لا تقف.راجع مختصر ابن كثير(۱۶۲/۳).

و هو یزید و ینقص حتی یصبح کالعذق المقوس أو السباطه الیابسه التی یحول علیها الحول أو العام فأصبحت جافت و صارت مقوسه (۱).

و قد انتهت بحوث الفلکیین إلی أن القمر أول الشهر یکون(المحاق) لانمحاق نوره و لاختفائه،ثم بعد سبعه أیام یصیر إلی(التربیع الأول)ثم یصیر(بدرا)وسط الشهر ثم یتحول إلی(التربیع الثانی)بعد الأسبوع الثالث،ثم یکون فی المحاق آخر الشهر،و هکذا دوالیک.

و لا یمکن للشمس أن تحتل مکان أحد المنظومات السیاره،و لیس فی مقدور أحدها أن یحتل محل الآخر إنما لکل واحد من هذه المسیّرات فلک خاص به و مدار یسیر علیه فلا یخرج علی دائرته.

قال تعالی: لاَ الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ،وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (۲).

کذلک یستنبط من الآیه الشریفه أن کلا من الشمس و القمر لا یجتمعان معا بحال،لأن کلا منهما یجری فی مداره الذی یوازی مدار الآخر،و لا یمکن بل یستحیل تماما أن یلتقی کلاهما.

و لا یفوت اللیل النهار،فیذهب قبل مجیئه،و قوله تعالی: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ).

۱- لأن العرجون هو الکناسه.و قد شبه الحق سبحانه و تعالی به القمر-آخر لیله یطلع-لتقوسه و دقته بعد أن یمر علیه العام،و قد عبر عنه بالعرجون القدیم.راجع لسان العرب لابن منظور (۱۵۶/۱۷).و تفسیر الطبری(۶/۲۳)و القرطبی(۳۰/۱۵،۳۱).

۲- یس(۴۰/۳۶).

يقصد الشمس و القمر و النجوم يجرون و يسبحون (۱).

و تقدير القمر منازل إنما كان تقديرا من اللّه سبحانه و تعالى ليعلم الناس عدد السنين و الحساب،هذا فضلا عن نفع الشمس بالدفء و النور و الضياء،و نور القمر الذى يهدى السراه (۲).

قال تعالى: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِكَ إِلاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يقصد جعله ينزل كل ليله منزلا- من النجوم،و هى ثمانيه و عشرون منزلا كل شهر،و تسمى هذه المنازل البروج (۳).

و من هذه الآيه أميط اللثام،و برح الخفاء عن حقيقه ثابته قديمه مقطوع بصحتها و سلامتها ألا و هى أن الشمس نجم تنبعث منه الحراره و الضوء كما هو شأن سائر النجوم (۴).س.

۱- راجع لسان العرب(۲۹۹/۳)و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(۳۳/۱۵)و جامع البيان (۷/۲۳)و مختصر ابن كثير للصابونى(۱۶۲/۳).

۲- السراه:الذين يمشون ليلا،جمع مفرده سارى.

۳- بالشمس تعرف الأيام و بدوران القمر تعرف الشهور و الأعوام،و بهذا يعرف الإنسان الأعوام و الشهور و الأيام.

۴- لأن الشمس هى أكبر النجوم على الإطلاق،و النجم معروف بأنه جرم يشع ضوءا و حراره،و لكن القمر كوكب يتكون من جسم بارد مظلم ضوؤه مستمد من الشمس.

نقص الأرض من أطرافها

إن المؤمنين قد قضى لهم بالنصر على أعدائهم لأن اللّه يدافع عن الذين آمنوا،و هو ولى المؤمنين و لكن الذين كفروا وليهم الشيطان و قمين بمن كان اللّه سبحانه و تعالى مدافعا عنه أن ينتصر و يفلج اللّه حجته،و يبير أعداءه،و يمحق ذكرهم و يفرقهم أيدى سبأ (۱)فلما انتصر المسلمون على المشركين و ضيقوا الخناق عليهم،ضاقت الأرض على الكفار بما رحبت.

قال تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها وَ اللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۲).

و قد رأى بعض العلماء المفسرين أن إنقاص الأرض من أطرافها يقصد به موت الصالحين و العلماء و العباد (۳).قيل أيضا بالفتوح على المسلمين.

و بقدر ظفر المسلمين يكون النقص فى متاع الكافرين و مما فى أيديهم (۴).

و إذا كان هذا ما انتهى إليه المفسرون من بيان معانى الآيه الشريفه،

۱- يقال تفرقوا أيدى سبأ:أى تفرقوا فى البلاد هنا و هناك.

۲- الرعد(۴۱/۱۳).

۳- و هذا هو رأى ابن عباس و مجاهد كما ورد فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى(۶۸/۴) و جامع البيان للطبرى(۱۱۷/۱۳).

۴- و هذا هو الرأى المختار عند شيخ المفسرين الطبرى فى السابق.

بید أن العلماء الجیولوجیین الدارسین للعصور السحیقه قد وقفوا علی قضیه فلکیه غایه فی الأهمیه،یتسع لها معنی الآیه الکریمه أیضا،و هی أن هؤلاء العلماء قد ثبت لهم أن الکره الأرضیه قد تفلطحت عند القطبین و انبعجت عند خط الاستواء بسبب سرعه دورانها حول نفسها (۱).

و قد حدث أن کمیات کبیره من الغازات و العناصر التی تحیط وسط الکره الأرضیه قد انطلقت بقوه الطرد المرکزیه إلی الخارج بعیدا حول خط الاستواء مما ساعد علی انبعاج الکره الأرضیه عند خط الاستواء، و نقص طرفیها عند القطبیین،الشمالی و الجنوبی.

و إذا کان هذا الرأی هو ما اطمأن إلیه الفلکیون و استقرت علیه آراؤهم،فلیس عندنا ما یرده أو یرفض کونه أحد المعانی التی یجب أخذها فی الاعتبار (۲)فی تأویل الآیه الشریفه.س.

ص: ۲۶

۱- حیث تصل سرعه دوران الأرض حول نفسها ألف میل فی الساعه تقریبا.

۲- و هذه من أعظم نواحی عظمه القرآن الکریم،و قد فطن الصحابه و أعلام السلف-رحمهم اللّه-إلی هذه الناحیه فقد قال الإمام علی رضی اللّه عنه لبعد اللّه بن عباس حینما بعثه إلی الخوارج:«و لا تخاصمهم بالقرآن،فإنه حمّال ذو وجوه،و لکن حاججهم بالسنه،فإنهم لن یجدوا عنها محیصا»و هذه الوجوه المحمول علیها معانی القرآن تعطی تجویزا لتعدد الفهم و الإحساس.

مرج البحرين يلتقيان

لقد لوحظ أن مياه الأنهار إذا انسابت و اختلطت بمياه البحار لا تمتزج بها لأن ثمه حاجزا يمنع طغيان كل منهما على الأخرى،و قيل إنهما على رغم التماس بين سطحيهما يباعد بينهما حاجز من قدره اللّه عز و جل، قال تعالى:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۱) .

و مرج البحرين أى خلّاهما،تقول مرجت دابتى إذا خليتها، و أمرجت الدابه إذا رعيتها (۲).

و قد ثبت أن عدم اختلاط مياه الأنهار،و مياه البحار نعمه من نعم الحق سبحانه و تعالى حيث يحتفظ ماء النهر بعذوبته،و كذلك يحتفظ ماء البحر بملوحته،و أيضا فإن أحياء كل منهما لا تختلط بأحياء الآخر.

و المشاهد أن مستوى ماء النهر عاده أعلى من مستوى ماء البحر و قد لوحظ هذا عند التقاء فرعى نهر النيل عند دمياط و عند رشيد بالبحر

۱- الرحمن(۱۹/۵۵،۲۰)قال ابن كثير رحمه اللّه فى تفسيره(۲۷۲/۴)ط.المكتبه التوفيقيه:«المراد بقوله اَلْبَحْرَيْنِ الملح و الحلو،و اختار ابن جرير الطبرى هاهنا أن المراد بالبحرين بحر السماء و بحر الأرض و هو مروى عن مجاهد و سعيد بن جبير و عطيه.راجع القرطبى(۱۶۲/۱۷)و الطبرى (۷۷/۲۷).

۲- الجامع لأحكام القرآن(۱۶۲/۱۷).

الأبيض المتوسط،حيث تندفع مياه النهر العذبه بقوه شديده إلى مياه البحر الملحه و كل منهما يحتفظ بمذاقها و بأحيائها.

قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هـذا عَـذْبٌ فُراتٌ وَ هـذا مِلْحٌ أُجاجٌ،وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۱)فبأی نعمه من نعم ربکما تجحدان؟یا معشر الإنس و الجن.).

ص: ۲۸

۱- الفرقان(۵۳/۲۵)یقول ابن منظور:«یقـال أمرج الـدابه إذا رعاهـا و الغراب:العـذب»اللسـان (۱۸۸/۳)«و الأجاج:الشدیـد الملوحه الذی یخالطه مراره،یقال ماء ملح؛و لا یقال مالح»راجع البحر المحیط(۵۷/۶).

أنواع الجبال

قال تعالى: وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۱).

قال أبو عبيده رضى اللّه عنه:الغربيب الشديد السواد؛ففى الكلام تقديم و تأخير،و المعنى:و من الجبال سود غرابيب و العرب تقول للشديد السواد الذى لونه كلون الغراب:أسود غربيب.

و المتدبر للمعانى اللطيفه فى الآيه الشريفه يرى توازن الألوان فى نعوت أنواع الجبال المختلفه و دقه تدرجها فتبدأ بالبيض و تنتهى بالسود، و يتوسط هذه و تلك حمر متدرجه الألوان.

۱- فاطر(۲۷/۳۵).الجدد:هى الطرائق و الخطوط تكون فى الجبال،جمع مفرده جاده،و الغرابيب جمع غربيب.انظر لسان العرب لابن منظور(۷۹/۴)و جامع البيان(۸۶/۲۲،۸۷)لكن القرطبى (۳۴۲/۱۴)يقول:الجدد جمع جده،و هى الطرائق المختلفه الألوان،و إن كان الجميع حجرا أو ترابا.

كرويّه الأرض

حتى عهد قريب لم يكن أحد يصدق أن الأرض كرويه...!و لكن الذى ثبت بالأدله القطعيه غير المطعون فيها أو المقدوح فى صوابها أن الأرض كره و لكن البسطاء و سواد الناس لا يزالون ممتارين فى هذه الحقيقه التى سبق إليها القرآن الكريم فنوّه عنها و أشار إليها فى قوله تعالى:.

خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ،وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى (۱) .

و معنى الآيه الشريفه:أى يغشى الليل على النهار،و يغشى النهار على الليل،و كأنه يلف عليه لف اللباس على اللابس (۲).و المنقول عن قتاده أن تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوؤه،و يغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته (۳).و قال أبو عبيده:و أصل التكوير اللف و الجمع و منه كوّر العمامه (۴).

۱- الزمر(۵/۳۹).

۲- الصابونى(۱۲۳۴/۲۳).

۳- راجع الجامع لأحكام القرآن(۲۳۵/۱۵)ط.دار الكتب.

۴- راجع جامع البيان(۱۲۳/۲۳)و القرطبى(۲۳۴/۱۵،۲۳۵).

بروج السّماء

قال تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً،وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً (۱).

و البروج هی منازل الکواکب السیاره،و قد سمیت بالبروج لأنها تشبه القصور العالیه.

قبل إن البروج هی تلک المنظومات التی تدور حول الشمس و تعتبر البروج منازل الشمس أثناء دورانها طوال العام.و کل ثلاثه بروج (۲)أو منازل تمثل فصلا من فصول السنه و عدد هذه الفصول أربعه الربیع، و الصیف،و الخریف و الشتاء،و قد أفاد القرآن الکریم فی إشاره لطیفه إلی الطاقه الحراریه المبعوثه من الشمس من جراء الطاقه الناجمه عن التفاعلات الذریه فی داخلها.

لکن أشعه القمر معکوسه من الشمس عند سطحه و لیس هو مصدرها.

۱- الفرقان(۶۱/۲۵).

۲- البروج الاثنا عشر هی:الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الاسد و السنبله و المیزان و العقرب و القوس و الجدی و الدلو و الحوت.

الشمس تجرى لمستقرّ لها

إنها أكبر نجم فى المجموعه السياره،و تتكون من نار و من نور أيضا أما الكواكب فإن نورها من الشمس يرتد عنها انعكاسا (۱).و الكواكب السياره حول الشمس محكومه بقانونى الجاذبيه المركزيه من ناحيه،و قوه الطرد المركزيه من ناحيه أخرى.

و حتى يستقيم أمر هذه المنظومات السياره فإن القوتين لا بد أن تكون كل منهما مساويه للأخرى تماما،أى قوه جذب الشمس مساويه لقوه الطرد و الإبعاد عنها.

و نجم الشمس الضخم هذا دائم النشاط دائب الحركه فإنها تجرى لمستقر لها لا يعلمه إلا اللّه سبحانه و تعالى القادر على كل شىء،قال تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۲).

يقول ابن قتيبه-رحمه اللّه-عن الشمس:أنها تجرى إلى أى موضع تنتهى إليه فلا تجاوزه ثم ترجع (۳).

و قد ثبت للعلماء الجيولوجيين أن المذنبات و الأجرام السائره حول

۱- انظر(مع اللّه فى السماء)للدكتور أحمد زكى،سلسله كتاب الهلال العدد ۲۱۱-نوقمبر سنه ۱۹۷۶ م.

۲- يس(۳۸/۳۶).

۳- تفسير غريب القرآن ص ۳۶۵ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(۲۷/۱۵)ط.دار الكتب.

الشمس يتخذ كل منها لنفسه شكلا ثابتا مميزا له يدور فى مدار بيضاوى الشكل.

و تجرى هذه المجموعه المنظومه بسرعه تبلغ نحو ٧٠٠ كيلومترا فى الثانيه الواحده،و لم يصل الباحثون إلى هذه الحقيقه العلميه إلا مؤخرا.

قال الإمام ابن كثير-رضى اللّه عنه-فى تفسير هذه الآيه:فى قوله تعالى لِمُسْتَقَرٍّ لَها قولان:أحدهما أن المراد مستقرها المكانى و هو تحت العرش مما يلى الأرض لحديث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال:«يا أبا ذر أ تدرى أين تغرب الشمس»قلت:اللّه و رسوله أعلم،قال:فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش...»الحديث (١).و الثانى:أن المراد بالمستقر هو منتهى سيرها يوم القيامه حيث يبطل سيرها،و تسكن حركتها،و تكور و ينتهى هذا العالم إلى غايته (٢).

و المستفاد من الآيه الكريمه أن التكوير و هو لف الشىء على الشىء، و هذا التكوير يدل دليلا قويا على كرويه الأرض و على دورانها حول نفسها.

و قد ذكر الدكتور أحمد زكى أن الأرض كرويه الشكل تقريبا،و أن قطر هذه الكره يتناقص تدريجيا كلما ذهبنا به من عند خط الاستواء إلى أى من قطبى الأرض،قطبها الشمالى،أو قطبها الجنوبى أى أن الأرضق.

١- حديث صحيح رواه البخارى فى الصحيح.

٢- راجع مختصر ابن كثير(١٦٢/٣).و قد قرئ أيضا لا مستقر لها أى لا قرار و لا سكون،لا فتور و لا جمود يعتريها،و لا عائق يعوقها عن دورانها المنظم الدقيق.

تتفرطح كلما اتجهنا نحو أى من القطبين شمالا أو جنوبا (۱).

و الأرض تدور حول نفسها و حول محورها مره واحده فى اليوم الواحد،فيتعاقب عليها النهار نورا و الليل ظلاما فى الأربع و عشرين ساعه.».

ص: ۳۴

۱- مع اللّه فى السماء للدكتور أحمد زكى ص ۸۵ بتصرف يسير.و قال الشيخ محمد إبراهيم:«و قد ثبت بالوسائل و الأجهزه الفلكيه و يرى العلماء أن للشمس نهايه عند ما تستنفد وقودها الذرى».

و الأرض بعد ذلک دحاها

قال تعالی فی کتابه الکریم: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها (۱)یقصد الأرض بسطها ثم مدّها و مهدها و بسطها لسکنی المخلوقات و هذا بالطبع لا یتعارض مع کرویه الأرض،و قد قال الإمام الفخر الرازی فی التفسیر الکبیر:«کانت الأرض أولا کالکره المجتمعه ثم إن اللّه سبحانه و تعالی مدها و بسطها و لیس معنی(دحاها)مجرد البسط بل المراد أنه بسطها بسطا مهیئا لنبات الأقوات» (۲)و قال صاحب القاموس المحیط:دحا اللّه الأرض یدحوها و یدحاها دحوا بسطها و ادحوی أبسط،و دحیت الشیء أدحاه دحیا بسطته» (۳).

و فسر ابن منظور دحاها بمعنی بسطها (۴).و معنی الدحیه کما فسرها صاحب القاموس هی بیضه النعام و هی مستدیره الشکل،و الذی یجدر ذکره أن هذه الأرض المبسوطه إزاءنا بمجرد النظر إنما هی مستدیره کالبیضه سبحان اللّه.

ص: ۳۵

۱- النازعات(۳۰/۷۹).

۲- راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی(۴۸/۳۱).

۳- انظر القاموس المحیط للفیروزآبادی(۳۲۹/۴)ط.الحلبی.بتصرف.ط ثانیه سنه ۱۹۵۲ م.

۴- راجع الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(۲۰۲/۲۰)و لسان العرب(۲۸۰/۶).

تنبّؤ القرآن الكريم بوسائل المواصلات الحديثه

كثير من الإعجازات القرآنيه الغيبه التى لم يعرفها الأقدمون الذى سمعوا القرآن و صدقوه و آمنوا به،فوّضوا تأويلها و تفسيرها و فهم معانيها إلى اللّه سبحانه و تعالى،بيد أنهم أفرغوا مجهودهم،و بذلوا قصارى جهودهم فى فهم معانيها،و استطاعوا تأويل بعض منها بظنون مرجوحه لا تقدر على الارتقاء إلى أدنى درجات اليقين،لأن اليقين متطلب جزما و قطعا من غير نكير.

من هذه الغيبيات ما أخبر عنه القرآن الكريم من وسائل المواصلات الحديثه فى قوله تعالى:

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَ خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ (۱) و المقصود من الآيه الشريفه هو ما يركبون فى البر مما يشابه الفلك المشحون مثل السيارات الناقله الكبيره العملاقه التى تحمل الكثره الكثيره من الناس و أمتعتهم.

۱- يس(۴۱/۳۶).لكن ابن عباس ذكر فى تفسير القرطبى(۳۳/۱۵)أنها الإبل و سائر المركوبات، فهى فى البر مثل السفن فى البحر،و هذا التفسير الذى قال به ابن عباس مقبول مناسب لعصر النبوه.

و إذا العشار عطّلت

ظن بعض الباحثين أن الآيات القرآنيه التى قال فيها القدماء رأيا تفسيريا لا يجب إعاده النظر فيها من الجانب العلمى.

و هذا الظن فيه فساد كبير،و شر مستطير،إذ أنه يحرمنا من متعه التأمل و التدبر فى القرآن الكريم،فضلا عن أنه يفسح المجال أمام فتنه العلم المعاصر و التطور السريع الذى انتهت إليه البشريه،بدلا من اكتشاف العلاقه بينها و بين الاشارات القرآنيه العلميه اللطيفه التى تقرب الناس من الجاده المستقيمه.

و هذه الآيه الكريمه أشارت إشاره بعيده إلى المستقبل البعيد الذى كان فى عصر تنزيل القرآن عصرا بعيد اللحوق به قال تعالى: وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (۱)و معنى الآيه ان يوما سيأتى تتعطل فيه العشار و يستغنى عنها بالطائرات و القطارات و السيارات و المستحدثات العصريه و غيرها من وسائل المواصلات.

۱- التكوير(۴/۸۱)و العشار من الإبل:هى الحوامل التى أتى على حملها عشره أشهر؛ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع،و بعد أن تضع أيضا.و العشار جمع مفرده عشراء.قال ابن كثير فى تفسيره (۴۷۵/۴)ط.التوفيقيه: وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ :أى«قال أهلها قد أهملوها».

الغوّاصات و المتفجّرات

قال تعالى: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً، فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً، وَ النّاشِراتِ نَشْراً، فَالْفارِقاتِ فَرْقاً، فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً، عُذْراً أَوْ نُذْراً، إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ (۱).

فی الآیات الخمس الأولی اختلف المفسرون اختلافا کبیرا فی تأویلها، فبعض العلماء حملها جمیعا علی الریاح،و آخرون حملوها جمیعا علی الملائکه،و لکن ابن جریر الطبری لم یبد رأیا فی ذلک،لکن ابن جزی قال:الأظهر فی المرسلات و العاصفات أنها الریاح و الأظهر فی الناشرات و الفارقات أنها الملائکه.قال المفسرون کما ذکر الفخر الرازی:

أقسم الحق سبحانه و تعالی بخمسه أشیاء،تنبیها علی جلاله قدر المقسم به،و تعظیما لشأن المقسم علیه.

راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی(۲۶۵/۳۰)و هنا وصف دقیق للطائرات الحربیه الخاطفه بسرعه البرق و هی تروح و تجیء تعصف بقنابلها المدمره کالحمیم و تترک الناس عصفا ماکولا.

۱- المرسلات(۱/۷۷،۷).المرسلات:الملائکه،عرفا:متتابعه،و من ذلک قیل هم إلیه عرف واحد راجع البحر المحیط لأبی حیان(۴۰۳/۸)و یقال:أرسلت بالعرف أی بالمعروف کما ذکر القرطبی (۱۵۱/۱۹).العاصفات:الریاح،و الناشرات:هی الریاح الممطره.راجع تفسیر الطبری (۱۴۱/۲۹)و الفارقات:الملائکه تنزل تفرق بین الحق و الباطل،الملقیات ذکرا:الملائکه التی تلقن الوحی إلی أنبیاء اللّه،عذرا أو نذرا:ترغیبا و ترهیبا.

أفادت هذه الآيات الشريفه كل أنواع الطائرات المعاصره التى تستعملها البلاد المتحاربه لتعصف بخصومها،و إن كانت هذه الطائرات و المتفجرات المهلكه المقذوفه من الطائرات إن كانت غير معروفه وقت نزول القرآن الكريم،بيد أنه لا يوجد دليل يمنع من حمل هذه الآيات على تلك المعانى العلميه أو يعارض هذا الرأى.

و نحن نرى أن يوضع فى الاعتبار هذا التفسير العلمى ليس على سبيل القطع،و إنما على سبيل الترجيح و غلبه الظن.

يقول الدكتور صلاح الدين خطاب (۱)فى تفسير هذه الآيات:و هذا وصف علمى دقيق للطائرات الحربيه الحديثه بمختلف حركاتها،و بجميع أفعالها،فهى تعصف بقنابلها كالحميم،و تترك الناس كالعصف المأكول و فى أثناء قيامها بذلك تنشر المنشورات و تلقيها على الجنود و على غيرهم فى ميادين الحرب و على الأهالى و السكان المدنيين للإخبار بما تريده الدوله المحاربه،و تفرق بصولتها الجباره بين الكتائب و الفصائل و التجمعات فرقا حيث أنه لا يستقر تحتها و لا يثبت أى جمع بل بمجرد رؤيتها يتفرق الناس،و يختفون فى الكهوف و الملاجئ و المخابئ.

قال تعالى: قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ (۲).

و العذاب من تحت الأرجل مقصود به الألغام،و الغواصات المنصوبه).

۱- من كتابه«الجانب العلمى فى القرآن»ط.الناشر العربى.ص ۱۷ و ما بعدها.

۲- الأنعام(۶۵/۶).

فی الأرض و فی البحر فیمر علیها المقصود إهلاکه فتدمره تدمیرا.

«بتصرف من السابق».

ثم یردف الدکتور صلاح خطاب:

و من أعجب ما تنبأ به القرآن الکریم قول الحق سبحانه: حَتّی إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّیَّنَتْ،وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَیْها أَتاها أَمْرُنا لَیْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِیداً کَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ (۱).

هذه الآیه تدل دلاله قاطعه علی القنابل الذریه (۲).و القنابل الذریه تحمل کل معانی الهدم و التخریب و الدمار.۸.

۱- یونس(۲۴/۱۰)قوله تعالی کَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ یعنی کأن لم تکن عامره بالأمس،و المغانی:هی المنازل جمع مفرده مغنی،یقال غنیت بالمکان أی عدنت به و أقمت فیه.

۲- السابق ص ۱۸.

مستحدثات علميّه سبق إليها القرآن الكريم

تنبأ القرآن الكريم بالمسره،و جهاز الإرسال المسمى الراديو،و الهاتف المسمى التلغراف و التلفاز المسمى التليفزيون.هذه المنجزات العلميه الخطيره الأثر العظيمه القدر غير المجهوله الأثر فى حياه الإنسان إنما أصبحت جزءا أساسيا من نشاطه و حركته فى الحياه.

قال تعالى: وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (۱).

۱- سبأ(۵۳/۳۴).

لا یغرب عنه مثقال ذرّه

لما اکتشفت الذره فی النصف الأول من القرن العشرین،و قد زعم العلماء أول اکتشافها أنها أصغر أجزاء الماده التی لا تنشق عن جزئیات أصغر منها فهی أصغر شیء فی الوجود من الموجودات.

لکن القرآن الکریم بیّن أن ثمه أصغر من الذره،و أن هذه الذره بدورها من الممکن أن تتجزأ إلی أجزاء أصغر منها.

قال تعالی: لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ، وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (۱).

و قال أیضا: وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ (۲).

و قد ثبت هذا علمیا عند ما اکتشف الباحثون أن الذرات atoms تتکون من دقائق أصغر منها هی البروتونات protons و الالکترونات electrons و النیوترونات neutrons و البروتونات موجبه الشحنه الکهربیه positive و لکن الالکترونات سالبه الشحنه الکهربیه negative بینما النیوترونات متعادله الشحنه neutral. و هذا یدل علی حتمیه التوازن بین طبائع الموجودات إذ لا بد للموجب أن یقابل سالبا،و حتما للسالب أن

۱- سبأ(۳/۳۴).

۲- یونس(۶۱/۱۰)و قد فسر القدماء الذره بالنمله الحمراء الصغیره تمثیلا للدقه و اللطف.

يواجهه موجب،و بين هذا و ذاك يوجد المتعادل المتزن الشحنه المستقر التكوين غير المجذوب و غير الجاذب لغيره.قال تعالى: وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (۱)أى متزن بتقدير اللّه سبحانه و تعالى.

و قد ثبت علميا أن ذرات اليورانيوم uranium و كذلك ذرات الراديوم radium تتحلل و تتجزأ إلى أدنى منها ذاتيا ثم تنطلق منها شحنات و إشعاعات كهربيه على ثلاثه أنواع (۲).لكل منها خواص و نعوت مختلفه عن الأخرى و قد قامت دراسات كثيفه على هذه الإشعاعات.S.

۱- الحجر(۱۹/۱۵).

۲- الاشعه الأولى تسمى أشعه ألفا alpha rays و الثانيه تسمى أشعه بيتا beta rays و الثالثه تسمى أشعه جاما gamma rays.

الذی یصعد فی السّماء

أشار القرآن الکریم إلی حاله الإنسان عند صعوده فی الهواء إذ یضیق صدره حتی یصبح فی مأزق حرج،لقله الضغط الجوی و ندره الأوکسجین و عدم ثبات درجه الحراره فی الطبقات العلیا من الجو و انعدام الوزن إذا ما أغرق و أمعن الإنسان فی دخول أجواء بعیده المدی.

قال تعالی: فَمَنْ یُرِدِ اللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ،وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً،کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ (۱).

و الحرج هو الذی بلغ من الضیق ما لم یجد معه منفذا أو متسعا إلا أن یصّعّد فی السماء و لیس یقدر علی ذلک (۲).هذه الحقائق العلمیه المنتهی إلیها یدرکها من له أدنی دریه و ممارسه،هذا هو الحق و هذه عروته فعلیکم بها.

۱- الأنعام(۱۲۵/۶).

۲- راجع تفسیر الطبری(۲۱/۸-۲۳)بتصرف.

السّنه الشمسيّه و السّنه القمريّه

السنه الشمسيه التى يسمونها بالسنه الانقلابيه،عباره عن مده تنقضى بين مرورين متتاليين للشمس بنقطه اعتدال واحد و مقدارها ۲۴۲۲۱۷,۳۶۵ يوما شمسيا،و بمرورها يحدث الصيف و الخريف و الشتاء و الربيع.

أما السنه القمريه فتتكون من ۳۶۷۰۶۷,۳۵۴ يوما،و هى المده بين كسوفين متواليين مقسومه على عدد الحركات القمريه الدائريه.

و الفرق بين السنه الشمسيه و القمريه ۸۷۵۱۴۹،۱۰ يوما و بذلك يكون فى كل ۳۳ سنه فرق قدره ۸۷۹۱۷,۳۵۸ يوما،أو نحو سنه تقريبا، و على ذلك فإن كل مائه سنه تزيد ثلاث سنوات،و تكون الثلاث مائه سنه شمسيه يقابلها ۳۰۹ سنوات قمريه.

و هذه الحقيقه الكونيه الثابته التى اطمأن إليها العلم الحديث و استقر عليها سبق إليها القرآن الكريم فى سرده لقصه أهل الكهف فى قوله تعالى:

وَ لَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَهٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً .ثم قال:سنين.أى ليست شهورا و لا أياما،و لم

يخرج مخرج ثلاثمائه درهم.و روى ابن فضيل عن الأجلح عن الضحاك قال:نزلت و لبثوا فى كهفهم ثلاثمائه.فقالوا:أيام أو أشهر أو سنين؟ فنزلت سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً (۱).

ثم قال تعالى: قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا .۵.

۱- انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبه ص ۲۶۶ و جامع البيان للطبرى(۱۵۳/۱۵)بتصرف.و الذين قالوا ذلك هم نصارى نجران.راجع أيضا أسباب النزول للسيوطى ص ۱۷۵.

الرّياح لواقح و بشرى

أثبتت التجارب الحديثه أن الرياح من أهم وسائل تلقيح النبات، حيث يحمل الهواء حبوب اللقاح من النبات المذكر إلى المؤنث ليتم الإخصاب و هذه العمليه ضروريه بل محتومه فى كثير من النباتات المعروفه.قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (۱).

قال أبو عبيده:«لواقح»هى ملاقح مفردها ملقحه (۲).قال تعالى أيضا: وَ هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۳).

يقول أبو حيان:و معنى بين يدى رحمته،أى أمام نعمه و هو المطر الذى هو من أجل النعم و أحسنها أثرا على الإنسان (۴).

۱- الحجر(۲۲/۱۵)راجع المرجع السابق.و المراد من الآيه الشريفه أن الرياح تلقح الشجر،و تلقح السحاب.

۲- هذا قول أبى عبيده لكن ابن قتيبه أكبر منه رأيه فقال فى تفسير غريب القرآن ص ۲۳۶:«و لست أدرى ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه،و هو يجد العرب تسمى الرياح لواقح»أ ه. بتصرف.

۳- الأعراف(۵۷/۷).

۴- البحر المحيط(۳۱۷/۴).

رحمه اللّه فی اللیل و النهار

الـذی یتأمل تتابع اللیل و النهار و ملاحقه أحـدهما للآخر یری قـدره اللّه سـبحانه و تعالی سافره جلیه،و هذه القدره سـخرت هذا الکون،و هذه الطبیعه لمصـلحه الإنسان فکانت رحمه اللّه سابغه موصوله بقدرته سبحانه و تعالی العزیز الرحیم،و لو لا رحمته جل شأنه المقرونه بهذه العظمه لاسـتحالت حیاه الإنسان إلی سلسـله موصوله من الصـعاب و المشقات،لأن رحمه اللّه تروض للإنسان کثیرا من مصاعب و متاعب الطبیعه.

قـال تعالی: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَیْکُمُ اللَّیْلَ سَـرْمَداً إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللّهِ یَأْتِیکُمْ بِضِـیاءٍ أَ فَلا تَسْـمَعُونَ، قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَیْکُمُ النَّهارَ سَـرْمَداً إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللّهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ، وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱).

یقول الإمام الفخر الرازی فی تفسیر هذه الآیه:

نبه اللّه تعالی بهـذه الآیه علی أن اللیل و النهار نعمتان یتعاقبان علی الزمان،لأن المرء فی الـدنیا مضـطر إلی أن یتعب لتحصـیل ما یحتاج إلیه،و لا یتم له ذلک لو لا ضوء النهار و لو لا الراحه و السکون باللیل،فلا بد منهما فی الدنیا،و أما فی الجنه فلا نصب و لا تعب فلا حاجه بهم إلی اللیل،

۱- القصص(۷۱/۲۸-۷۳)السرمد هو الدائم الذی لا ینقطع،و السکون هو الاستقرار من التعب.

فلذلک یدوم لهم الضیاء و اللذات (۱).

لقد خلق اللّه سبحانه و تعالی الکون و أبدع نظامه و أتقن تکوینه فاللیل و النهار و الشمس و القمر و الریاح و الهواء و البخار و غیرها نعم متکامله مصدرها رحمه اللّه و فضله سبحانه بعباده،و لو اختل شروق الشمس أو القمر لتأثر نظام الکون و اضطربت الحیاه،فنعمه الخلق متکامله (۲).

قال تعالی: ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ (۳)أی ما تری فی خلق الرحمن من اضطراب أو اختلال و اختلاف (۴).

و أصل التفاوت من(الفوت)و هو أن یفوت شیء شیئا،فیقع الخلل و یحدث الاضطراب (۵)،و هذا هو قول ثعلب فی تفسیر القرطبی (۶).

یقول الإمام الألوسی فی تفسیره:أی ما تری شیئا من تفاوت أی اختلاف و عدم تناسب کما قال قتاده و غیره من الفوت فإن کلا من المتفاوتین یفوت منه بعض ما فی الآخر،و فسر بعضهم التفاوت بتجاوز الشیء الحد الذی یجب له زیاده أو نقصا و هو المعنی بالاختلاف (۷).

و لا أحد یستطیع أن یتصور نهارا سرمدیا بلا لیل،کذلک فلا یمکن تصور لیلا سرمدا من غیر نهار ننتهی إلی أن اللّه سبحانه و تعالی:).

۱- الفخر الرازی فی الکبیر(۱۱/۲۵)بتصرف.

۲- تفسیر الآیات الکونیه للدکتور عبد اللّه شحاته.ط.دار الاعتصام ص ۲۰۱ ط.الأولی.

۳- الملک(۳/۶۷).

۴- انظر لسان العرب لابن منظور(۳۷۳/۲،۳۷۴)و جامع البیان(۳/۲۹).

۵- راجع أبا حیان(۲۹۸/۸)و الجامع لأحکام القرآن(۲۰۸/۱۸).

۶- انظر القرطبی(۲۰۹/۱۸).

۷- راجع روح المعانی للآلوسی(۶/۲۹).

وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (۱) .

و قال أيضا: وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (۲).

و تدبر الآيات الشريفه يجلى لنا آيات اللّه سبحانه و تعالى و نعمه حين يجعل له من مخلوقاته المسخرات سبيلا إلى راحته و سكونه فيجعل له الليل سكنا و راحه و هدوء،كذلك يجعل النهار له للحركه و السعى و العمل و النشاط.

فإذا رأى الإنسان الليل مقبلا و النهار مدبرا،و الفتيان (۳)يتعاقبان فى تواتر و توافق و انسجام،فقد حق عليه أن يذعن للّه سبحانه و تعالى ضارعا و شاكرا أنعمه.

لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أعرف الناس بفضل اللّه سبحانه و تعالى على خلقه،و كان عليه الصلاه و السلام أشكر الناس و أعبدهم و أتقاهم و أحشاهم جميعا.كان عليه الصلاه و السلام يقول إذا أصبح:«أصبحنا و أصبح الملك للّه،رضيت باللّه ربّا و بالإسلام دينا و بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم نبيا و رسولا» (۴).و فى المساء كان يقول عليه الصلاه و السلام:«أمسينا و أمسى الملك للّه،و الحمد للّه لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له،له الملك،و له الحمد،و هو على كل شىء قدير،رب أسألك خيرا ما فى هذه الليله.

۱- الفرقان(۲/۲۵).

۲- الرعد(۵/۱۳).

۳- الفتيان:الليل و النهار.

۴- رواه الترمذى(۳۳۸۶)و هو حديث حسن،و قد حسنه الحافظ فى تخريج الأذكار،و قال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح»أ

.ه

و خیر ما بعدها و أعوذ بک من شر هذه اللیله و شر ما بعدها،رب أعوذ بک من الکسل و سوء الکبر،رب أعوذ بک من عذاب فی النار و عذاب فی القبر» (۱).

من ثم نری کتاب اللّه الکریم،و سنه رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم تستحث المسلم علی ذکر ربه و شکره علی ما أنعم من آلاء مشکوره بل لا ینهض بمقامها شکر.

إن قیومیه القدره الإلهیه فی کل مقومات الحیاه،بل و فی کل جزئیات الکون تستنهض الإنسان لاستدامه الشکر لخالقه و استدامه العبودیه التی تتناسب مع هذه العطاءات و المنح و المنن،مما یقوی الیقین،و یقوی الصله بین العبد و بارئه.).

۱- رواه الإمام مسلم فی الصحیح(۲۷۲۹).

يخرج الحىّ من الميت و يخرج الميت من الحىّ

قال تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ (۱).

يقول الإمام القرطبى:بيّن تعالى كمال قدرته،فكما يحيى الأرض بإخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث (۲).

لقد خلق الحق سبحانه و تعالى آدم من تراب،كذلك خلق الموجودات من العدم المطلق،و فى كل جزئيات الزمن يخلق حيّا من ميت،و يخلق ميتا من حى فسبحان الذى كملت ذاته و تعالت صفاته و هيمنت قدرته و اتسع ملكه،و امتد إلى غير انتهاء ملكوته.

من ذلك إخراج البيض من الدجاج،و الدجاج من البيض كذلك إخراج الإنسان من النطفه و النطفه من الإنسان و المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن (۳).

ثم يقول تعالى: وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها (۴).

۱- الروم(۱۹/۳۰).

۲- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(۱۶/۱۴).

۳- كذلك فإن الجدير بالاعتبار أنه فى كل لحظه من الزمن يخرج إلى الوجود مخلوقات،و تسلب الحياه من آخرين ففى كل برهه تدب الحياه فى جنين إنسان أو حيوان أو طائر و تسلب كذلك من إنسان أو حيوان أو طائر كذلك فإن عمليه البناء anabolism و عمليه الهدم msilobatac متوافرتان فى كل جزئيات الزمن بلا انقطاع.

۴- الروم(۱۹/۳۰).

أی بالماء و الزرع و الحیاه،و کما یحیی اللّه سبحانه و تعالی الأرض بعد موتها فإنه یبعث المقبورین الموتی من قبورهم،بعد جمع ما تفرق من أشلائهم،و هذا أمر یسیر.

قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ،وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ،وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۱).

و معنی الآیه الشریفه أنه سبحانه و تعالی هو الذی یبدأ الخلق غیر الموجود قبل ذلک،حیث لم یکن ثمّ،ثم بعد ذلک یفنیه،ثم یعیده کما بدأه و ذلک أیسر و أهون علیه حسب ما استقر فی أفهام البشر من أن إعاده الأمر أسهل و أیسر من ابتدائه لأن هذه المسأله من البدهیات المقطوع بها.

قال أبو عبیده رضی اللّه عنه و هو أهون علیه أی و هو هیّن علیه کما یقال اللّه أکبر أی کبیر (۲).

و نقل القرطبی عن تفسیر أبی صالح«و هو أهون علیه»محموله علی المخلوق،لأنه یقال له یوم القیامه:کن فیکون.و أول خلقه نطفه ثم علقه ثم مضغه (۳).

و إذا کان العلم الحدیث بابتکاره للتلیفزیون و الفیدیو television and video أصبح یعطینا تقریبا أکثر للقضیه،فنعتقد أن هذه الأشیاء قد).

۱- الروم(۲۷/۳۰).

۲- راجع الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(۲۱/۱۴)مع زیاده و شیء من الاختلاف،و قریبا من ذلک فی البحر المحیط لأبی حیان(۱۶۹/۷)و شیئا مشابها من ذلک فی جامع البیان للطبری(۲۴/۲۱).

۳- راجع الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(۲۲/۱۴).

قرّبت مجال الفهم و الاقناع بل أصبحت حجه على أهل العصر بل أهل العصور المقبله و أهل الأرض قاطبه.

إن استرجاع صور الناس الـذين ماتوا فى التلفاز يـدفعنى أن أسائل نفسـى مره بعد مره،و حينا بعد حين،إذا كان الإنسان بما أوتى من علم قليل أصـبح يسترجع صور الموتى يتكلمون و كأنهم أحياء فكيف بالجاحـدين و المنكرين البعث و قـدره اللّه سـبحانه و تعالى غير محدوده (۱)؟.ك.

ص: ۵۴

۱- و نحن نرى أنه لو بـال للإنسـان-بعـد هـذه الطفره الخطيره من التطور-أن يمارى أو يسـتبعد شـيئا غيبيا أخبره الحق سـبحانه و تعالى به بعد ما رأى من عوالم خلق اللّه لأن الحجه عليه أكبر و أتم و أكمل،و إن الذى لم يعاصـر هذه المستحدثات ربما يكون معذورا إلى حد ما فى قصوره فى الفهم أو الإدراك.

و ذكّرهم بأيّام اللّه

تختلف الأيام فى حساب البشر،عن الأيام فى حساب اللّه سبحانه و تعالى...و قد تحدث القرآن الكريم فى كثير من آياته المحكمه عن خلق اللّه سبحانه و تعالى للسماوات و الأرض و ما بينهما فى سته أيام،و قد سبقت كلمه«اليوم»بعده معان،منها(النهار)لقوله تعالى فى إهلاك قوم عاد بالريح:

سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَهَ أَيّامٍ حُسُوماً (۱) .

و كذلك قوله فى كفاره اليمين فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَهِ أَيّامٍ ذلِكَ كَفّارَهُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ (۲).

و قد تأتى بمعنى طور من أطوار الخلق و التكوين و التدبير مثل قوله تعالى: وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّا تَعُدُّونَ (۳).و قوله تعالى:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمّا تَعُدُّونَ (۴) ثم يقول الحق جل شأنه فى وصف أهوال القيامه (۵):

۱- الحاقه(۷/۶۹).

۲- المائده(۸۹/۵).

۳- الحج(۴۷/۲۲).

۴- السجده(۵/۳۲).

۵- فى ملكوت السموات و الأرض للمغفور له المرحوم الأستاذ على عبد العظيم ص ۳۲ و ما بعدها بتصرف.

تَعْرُجُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِی يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً (۱) .

و لكن بعض الجاهلين يتوهمون تعارضا بين هذه الآيه و بين آيه سوره السجده فی قوله تعالی: فِی يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ و لكن الذی يدفع هذا القول المرصوص أن القيامه مواقف مختلفه و أحوال متباينه،قال المفسرون:فيها خمسون موطنا كل موطن ألف سنه،و هذه المده الطويله تخف علی المؤمن فلا يكاد يشعر بها بل تكون أخف عليه من الصلاه المكتوبه (۲).

و قد يبلغ اليوم لحظه عابره،كما قد يكون طورا من الأطوار الممتده عشرات الآلاف من السنين أو أكثر.

و من الجامدين علی تأويل اليوم بأربع و عشرين ساعه فقط تصدر آراء مقدوح فی صحتها لا يقوم علی صحتها دليل واحد.

و يبلغ اليوم عند خط الاستواء Equatorial linE أربعا و عشرين ساعه نصفها نهار و نصفها ليل،لكنه عند القطب الشمالی،و القطب الجنوبی يعادل سنه كامله سته أشهر نهار و سته أشهر ليل.

ثبت أيضا بالدليل العلمی أن اليوم علی سطح القمر يساوی تسعه و عشرين يوما من أيام الأرض،و علی ذلك فإن الأيام تختلف من كوكب إلی كوكب،فتباركت قدره الصانع.لی

۱- المعارج(۵، ۴/۷۰).معنی الآيه:أی تصعد الملائكه و جبريل فی ذلك اليوم،الذی يبلغ طوله خمسين ألف سنه من سنی الدنيا،و قد ورد أن هذا هو يوم القيامه و قد جعله اللّه علی الكافرين مقدار خمسين ألف سنه ثم يستقرون بعده فی النار،و هذا القول معزو لابن عباس فی القرطبی(۲۸۲/۱۸).

۲- قيل له صلّی اللّه عليه و سلّم:ما أطول هذا اليوم!فقال عليه الصلاه و السلام:«و الذی نفسی بيده إنه ليخفف علی

مواقع النّجوم

يتكـون الفضـاء الكـونى من ألـوف المجرات،و تتكـون كـل مجره من ملاـيين النجـوم،و هـذه النجوم يتخللهـا غـاز الأيـدروجين hydrogen gas ٢h الذى ينضغط و تتكاثف جزئياته مع بعضها البعض فينجم عن ذلك طاقه كبيره و حراره هائله.

و تبلغ المسافات فى الفضاء الكونى البعيـد حـدود الخيال المترامى الأطراف،و أقرب هـذه المجموعات إلينا هى تلك التى تكون طريق التبانه التى لا يصلنا ضوؤها قبل بضع سنين.بل هناك نجوم أخرى تبعد عنا آلاف الألوف من السنين الضوئيه.

قيل إن طريق التبانه فيه حشد كبير من النجوم و خليط كثيف من الغازات،و يصل قطر هذا الطريق ستين ألف سنه ضوئيه (١).

كما تتعدد المجرات من هذا الفضاء البعيد الفسيح المأهول.

و تختلف أبعاد النجوم عنا اختلافا كبيرا،و قد ثبت أن أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس بمقدار أربع سنوات ضوئيه،أى أن الضوء يقطع المسافه من الشمس إلى أقرب نجم من الأرض فى أربع سنوات،و هذه

١- راجع قصه السـموات و الأـرض للـدكتور محمـد جمـال الـدين الغنـدى و الـدكتور محمـد يوسف حسن ط. الشـعب ص ١۶ بتصرف.

المسافه بينهما تقدر بسته و عشرين مليون مليون ميلا.

و ليس لـدرجه لمعان النجم قيمه فى شـده قربه أو شـده بعـده عن كوكبنا الأرضـى،فقـد يكون النجم الشديـد البعـد لا معا،أو ان يكون القريب خافتـا،كما أن التماع النجم وقف على حجمه فإن النجم الكبير الحجم قليل اللمعان،و لكن الأصـغر كثير الالتماع.و ألمع النجوم بعـد الشـمس،هو الشـعرى اليمانيه،و لمناسـبه طلوعه مع الشـمس أول العام لـذلك كان هـذا معروفا عنـد المصـريين القدماء فاحتفلوا بذلك لأنهم كانوا متفائلين بذلك لتوافقه مع فيضان النيل و ازدياد الخير و عمومه.

قـال تعـالى فى كتابه الكريم: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (۱)قال ابن قتيبه:أراد نجوم القرآن الكريم إذ انزل،لكن أبا عبيده قال:أراد مساقط النجوم فى المغرب (۲).

فى قوله تعـالى فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وردت اللام لتأكيـد الكلام و تقويته،أما زياده لا فإنها كثيره الورود فى كلام العرب لقول الشاعر.

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابه و كاد نياط القلب لا ينقطع أى كاد ينقطع (۳).

و قال بعض المفسرين إن لا هنا زائده،و تقديره أقسم بمواقع).

۱- الواقعه(۷۵/۵۶).

۲- راجع القرطبى فى التفسير(۲۲۳/۱۷)و ما بعدها و جامع البيان للطبرى(۱۱۷/۲۷).

۳- راجع صفوه التفاسير للصابونى(۱۴۷۷/۲۷).

النجوم (۱).

و قال آخرون ليست لا- زائده لا- معنى لها،بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسما به على منفى كقول عائشه رضى اللّه عنها:«لا و اللّه ما مست يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يد امرأه قط»و هكذا هاهنا تقدير الكلام فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (۲).

و أقرب المجرات لمجرتنا تبعد بنحو ۷۰۰ ألف سنه ضوئيه و قد ثبت أن طريق التبانه يحتوى على أكثر من مليون مجموعه من الكواكب السياره، و ما أقل ما نعرف و ما أكثر ما لا نعرف!! إن الكون الفسيح المأهول يهيب بالمخلوقات العاقله المدركه كل لحظه من الزمان أن توحد الخالق جل شأنه لأنه القادر الحكيم جل شأنه.

و عند ما يقسم الحق تبارك و تعالى بالنجوم أو بمواقع النجوم فإن ذلك دليل على عظمه هذه المواقع و خطوره قيمتها،فلنتدبر ذلك جيدا.

و لو لا- المناظير و الأدوات الحديثه لتعذر ارتياد هذا الفضاء البعيد المترامى المجهول و ما يكتنفه من غموض،تلك المهامه و المعامى المثيره.ا.

۱- و هذا مروى عن ابن جرير عن سعيد بن جبير و جوابه على ذلك(إنه لقرآن كريم).راجع تفسير ابن كثير(۲۹۷/۴).

۲- السابق نفس الصفحه و التاليه لها.

اتّساع الكون باستمرار

قال تعالى: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ (۱)هذه السموات تتسع باستمرار فليست جامده و لا ثابته حيث انجلى ذلك واضحا للعلم الحديث الذى تحقق منها بأساليبه المتطوره و لا تزال البحوث و الدراسات مهتمه بمزيد من الأدله و البراهين على ذلك.

و من الأدله المسوقه لبيان اتساع الكون و الفضاء الجوى،و أن هذا الوجود الكونى فى اتساع مستمر دائم أنه لو تصورنا طائره خياليه تسير بسرعه ۱۸۶,۰۰۰ ميلا فى الثانيه الواحده،و أن هذه الطائره الخياليه تطوف حول الكون بنا الآن،فإن هذه الرحله سوف تستغرق (۱,۰۰۰,۰۰۰,۰۰۰)ألف مليون سنه،و لما كان هذا الكون غير متجمد بل يتسع باستمرار فإن هذه المسافات الكونيه (۲)ستتضاعف بعد ۱,۳۰۰,۰۰۰,۰۰۰ سنه.

يقول الأستاذ وحيد الدين خان (۳):

عند ما تكون السماء صافيه نستطيع أن نرى بالعين المجرده خمسه آلاف

۱- الذاريات(۴۷/۵۱).

۲- أى ستبلغ المسافات الكونيه ضعفين،و لذلك لا تستطيع الطائره الخياليه المزعومه أن تصل إلى نهايه الكون،فعند ما تقترب من نهايه الكون المضاعف ضعفين يكون بدوره قد ضوعف مره أخرى ضعفين و هكذا إلى غير انتهاء.

۳- فى كتابه(الإسلام يتحدى)ط.السادسه.ط.المختار الإسلامى ص ۵۱ بتصرف يسير.

من النجوم،و لكن هذا العدد يتضاعف إلى أكثر من ٢,٠٠٠,٠٠٠ من النجوم حين نستعمل تلسكوبا عاديا normal telescope. و أقوى تلسكوب فى العالم هو الموجود فى مرصد(ماؤنت بالومار)فى الولايات المتحده الأمريكيه،و يستطيع مشاهده بلايين النجوم.

ثم يقول أيضا:

إن الفضاء الكونى فسيح جدا متحرك فيه كواكب لا حصر لها، بسرعه خارقه،بعضها يواصل رحلته وحده،و منها أزواج تسير مثنى مثنى،و منها ما يتحرك فى مجموعات،و لو أنك لاحظت ضوء الشمس الذى يدخل غرفتك من الشباك،سترى فيه ذرات و جزئيات كثيره من الغبار تسير و تتحرك فى الهواء.

و لو أنك تصورت و تخيّلت هذا الكون البعيد المدى،المترامى الأطراف قياسا على شهد ذرات الغبار فى شعاع الشمس،لقربت إلى الذهن الصوره مع الفارق الكبير بين الواقع فى الأولى و بين الواقع فى الثانيه إذ أن مجاميع ذرات الغبار و الأتربه تروح و تجىء هنا و هناك مضطربه المسار يصطدم بعضها بالبعض بيد أن مجموعات المجرات و الكواكب فى الفضاء الكونى لا يمكن أن يصطدم بعضها بالبعض الآخر لأنها مقهوره مسيّره غير مختاره،و لو أنها عشوائيه السير أو الدوران لاصطدم أحدها بغيره و حدث الخلل و الانهيار فى النظام الكونى،إنما كان قيام العنايه الإلهيه برعايه هذه المنظومات وراء رتابتها و انتظامها و دقه أدائها لدورها.

و قد ثبت أيضا أن الكون يتسع بالتسلسل الدائم،و أن النجوم و الأجرام و الأجسام الفلكيه الكونيه تتباعد بسرعه رهيبه عن بعضها

البعض.

و يعزو بعد العلماء وجود هذا الكون نتيجه انفجار قد حدث منذ ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنه.

و هـذا القول و إن كان صادرا من الباحثين أو الدارسـين لعلوم الفلك و الجيولوجيا و الـدراسات الكونيه بيد أننا يجب أن نحمله على الظن،و من الاسـراف غير المقبـول بـل غير المعقـول أن نجعلهـا من المسـلمات المقطـوع بهـا فهـذا هو الشـطط و الإسـراف بعينه،لأننا نرى أن هـذه الفتره الزمنيه مهما حشـد لـدعمها من حجـج و براهين لا يمكن أن تخرج عن نطاق الغيب المظنون الذى يقوى بالترجيح و غلبه الاعتقاد و ليس بالقطع الصادر عن اليقين.

يقدر الفلكيون أن هذا الوجود يتكون من خمسمائه مليون مجموعه نجميه مضروبا هذا العدد فى ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الملايين،و فى كل مجموعه منها مائه مليار من النجوم،قـد يزيـد أو يقل عن هذا العدد بقليل أو كثير،و أرضـنا هذه تبعد عن هذه النجوم(عن مركزها) بمقدار ثلاثين ألف سنه ضوئيه.

و هـذه المجموعـات النجميه الكونيه تتسع من كل اتجاه و من كل جانب،فلا يتوقف امتـدادها أمر يتقاعس برهه من الزمان،و قد شبهها الفلكيون بالبلون المصنوع من المطاط المرن الذى يتسع فى كل اتجاه إذا ما شددته.

و قد رصد كوبرنيكس copernicus المولود سنه ۱۴۷۳ م.و المتوفى سنه ۱۵۴۳ م.رصد السماء و انتهى إلى أن الشمس موضوعه فى مركز النظام الشمس.

و قد قال كوبرنيكس أن النجوم تبعد عن الأرض بعدا كبيرا هائلا و قد صوّر هذا بمثال لطيف و هو لو أن ألفا من الناس على شتى أنحاء الكره الأرضيه قد صوّبوا أذرعهم إلى نجم منها فى الوقت الواحد، لتوازت هذه الأذرع جميعا،و لما ضلع أو مال بعضها على بعض،و السبب فى ذلك هو شده بعد النجم،فكأنها تشير جميعا إلى بعد لا نهايه بعده.

ص: ۶۳

توازن الكره الأرضيّه

لما كانت الكره الأرضيه تدور فى الفضاء،و لما كنا نحن قائمون عليها فالصحيح أن نقول إننا معلّقون من أرجلنا،ملقون على رءوسنا.

و زياده فى الإيضاح فلو تصورنا الأرض و هى كرويه الشكل و معلقه فى الفضاء و أهلها على سطحها فى مختلف أرجائها فمعنى ذلك أن وضع الناس فى متباين الأمكنه سيكون غريبا بالنسبه للبعض الآخر و معنى هذا أن سكان الولايات المتحده الأمريكيه مثلا سيكونون تحت سكان أهالى الهند،و سكان الهند سيكونون تحت أقدام سكان أمريكا.

و إذا سأل سائل:لما ذا لا نتأثر نحن سكان الأرض بدورانها؟؟!! و الجواب أن الأرض تدور بسرعه تقرب من ألف ميل فى الساعه الواحده و ما نحن على سطحها إلا مثل حصاه موضوعه على محيط عجله تدور بسرعه مذهله،توشك أن تقذف بها فى الفضاء،لكن الأرض لا تقذفنا بعيدا عنها بل تجذبنا إليها بقوه الجاذبيه الأرضيه.

خلق اللّه سبحانه و تعالى الأرض بل جميع المخلوقات بنظام متقن دقيق لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه،لأنه صنع الذى أتقن كل شىء صنعه فجل شأنه و تعالت قدرته.

و الأرض بتكوينها الجيولوجى و الفيزيائى و الطبوغرافى تناسب حياه المخلوقات عليها،و لو أن عنصر كل أبعاضها أو أجزائها على حده

اختلف عما هو عليه بالزياده أو بالنقصان كثيرا أو نزرا يسيرا لاضطرب النظام و التناسق بل لاستحالت الحياه على هذا الكوكب.

لو كانت الكره الأرضيه مثلا فى حجم القمر أى لو أصبح قطرها الحالى ربع قطرها تماما كانت جاذبيتها تصبح سدس جاذبيتها الحاليه،من ثم يصعب عليها بل يستحيل أن تمسك الماء و الهواء من حولها،فإن ذلك سيقتضى ابتعاد الهواء عن مجالها إلى الفضاء الكونى البعيد،ثم انسكاب مياه البحار و المحيطات بعيدا عن مجاريها الحاليه.

ثم إن هذا التغيير سيصحبه ازدياد البروده ليلا حتى يتجمد كل ما فيها،و ازدياد الحراره نهارا حتى يحترق كل ما عليها.

و على النقيض من هذا لو أن قطر الأرض كان ضعف قطرها الحالى لتضاعفت جاذبيتها الحاليه،و حينئذ ينكمش غلافها الجوى (١)و سيترتب على ذلك أن يزيد تحمل كل بوصه مربعه من خمسه عشر رطلا إلى ثلاثين رطلا من الضغط الجوى،و هو ضغط له تأثيره البالغ السوء على الحياه.

و لو أن الأرض تضاعف حجمها فصار مثل حجم الشمس مثلا لبلغت قوه جاذبيتها أكثر مما هى عليه الآن ١٥٠ مائه و خمسين مره، و لاقترب غلافها الهوائى حتى يصبح على بعد أربعه أميال فقط،بدلا من خمسمائه ميل،و لاقتضى ذلك ارتفاع الضغط الجوى إلى معدل طن واحد على كل بوصه مربعه،و هذا يعنى أن الرطل الحالى يصبح وقتئذ يزن خمسمائه رطل،كما أن حجم الإنسان يهبط إلى حجم أصغر و أصغر بلك.

١- و الغلاف الجوى يقع على بعد خمسمائه ميل إلى ما دون ذلك.

يصل إلى حجم فأر كبير (۱)،و هذا ما يستحيل معه وجود المسخ فى الإنسان الذى يقتضى وجوده حجما معينا و تكوينا لازما فى الجسم،فإذا نقص حجم الأرض أو زاد عما هو عليه الآن لكان شديد الاستحاله أن يتناسب مع الحياه عليها،كذا فإن ازدياد حجم الأرض عما هو عليه الآن يؤدى إلى نفس النتيجه حتى لا يمكن ممارسه وظائف الحياه عليها.و هذا يعنى أن الأرض بوصفها الحالى أنسب ما تكون لحياه الإنسان و الكائنات الحيه الأخرى.

و يجب أن يعرف أن الأرض و هى تدور فى الفضاء إنما يتم ذلك بانحراف قدره زاويه مقدارها ۳۳ درجه و هذا هو السبب فى حدوث المواسم الأربعه،و هذا يترتب عليه صلاحيه أكثر مناطق الأرض للسكنى و الزراعه و حياه الإنسان و الكائنات الحيه الأخرى من دواب و ماشيه و طيور و غيرها (۲).

فلو انعدمت هذه الزاويه لغمر الظلام القطبين طوال السنه،و لسار بخار البحار شمالا و جنوبا،و لما بقى على الأرض غير جبال الثلج و فيافى الصحراوات،و مهامه البيد،و معامى القفار،و هكذا تنجم متغيرات تجعل الحياه على كوكب الأرض مستحيله تماما.

قال الجيولوجيون:لو أن قشره الأرض كانت أكثر سمكا مما هى عليه الآن بمقدار عشره أقدام لاختفى الأوكسجين و هو بدوره عصب الحياه،من غيره و فى غيابه لا يمكن أن تقوم للحياه قائمه.ف.

۱- راجع الإسلام يتحدى ص ۵۶ و ما بعدها بتصرف.

۲- المرجع السابق ص ۵۹.بتصرف.

و لو كان الغلاف الهوائى للأرض ألطف مما هو عليه الآن لاخترقت النيازك و الشهب كل يوم غلاف الأرض،و لأصبح المجال الأرضى دريئه للأجرام الضاله أو المقذوفه من الفضاء الكونى البعيد.

و سيكون ذلك سببا مباشرا لأن ترى الأرض مضيئه فى الليل (۱).

قال تعالى فى كتابه الكريم: وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (۲).

يقول الشيخ الصابونى:أى أنبتنا فى الأرض من الزروع و الثمار من كل شىء موزون بميزان الحكمه بدقه و إحكام و تقدير (۳).و الذى لا مديه فيه أن كل دقيقه من دقائق هذا الكون قد وضعت فى دقه بالغه فى موضع لا يمكن أن تتخطاه أو تتعداه إلى غيره،بل لو حدث ذلك لحدث الخلل و الاضطراب.).

۱- الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ۶۰ بتصرف.

۲- الحجر(۱۹/۱۵).

۳- انظر صفوه التفاسير(۷۰۳/۱۴).

الحياه على الكواكب الأخرى

أشار القرآن الكريم إلى أن ثمه أحياء فى الكواكب الأخرى يسبحون بحمد اللّه،و يستغفرونه،و قد ورد هذا فى أكثر من موضع.

و قد اهتم الدارسون من الفلكيين بهذه المسأله و محّصوها و محضوها إذ شغلتهم ردحا طويلا من الزمان،ثم استقرت آراؤهم آخر الأمر على أن الحياه على الكواكب الأخرى غير الأرض غير مستبعده لوجود جميع مقوماتها.قال تعالى: وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (۱).

و معنى الآيه أن له سبحانه و تعالى من فى السموات و الأرض من مخلوقاته و كلهم قانتون أى مقرون له بالعبوديه (۲).و يقول أيضا: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّهُ،وَ ما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ (۳).

و يقول عز من قائل: وَ لِلّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّهٍ وَ الْمَلائِكَهُ (۴).

يقول الفخر الرازى:أما قوله تعالى وَ ما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ

۱- الروم(۲۶/۳۰).

۲- راجع الطبرى(۲۳/۲۱)و القرطبى(۲۰/۱۴)بتصرف.

۳- النمل(۶۵/۲۷).

۴- النحل(۴۹/۱۶).

فهو صفه لأهل السموات و الأرض،نفی أن یکون لهم علم بالغیب (۱).

و لعل القرآن الکریم کان أول الکتب السماویه التی تعرضت للإشاره إلی وجود الأحیاء علی المنظومات السیاره الأخری غیر کوکب الأرض و قد أثبت العالم الروسی الکبیر«البروفیسور لیابونوف»بعد دراسه خمسه و أربعین عاما (۲)أن هناک سفینه کوکبیه آتیه من کوکب آخر قد ارتطمت بالأرض و تفتتت و تهمشت،و کان هذا تعلیقا منه علی حادث انفجار هائل نتیجه سقوط شهاب سماوی جبار فی سیبیریا فی ۳۰ یونیو سنه ۱۹۰۸ م و اختلف فی حقیقه أمره.

و بعد فتره قصیره نسبیا و بالتحدید فی مارس سنه ۱۹۵۹ صدر کتاب فی روسیا یقطع بأن هذا الحادث کان ناجما عن سفینه قادمه من کوکب الزهره،و أن موتی هذا الحادث کان بأعراض مرض غامض ینطبق علی من یموت بالإشعاع الذری، atomic radiation و أن الحدید المتبقی لا یشبه حدید الأرض،و لا حدید النیازک إطلاقا.

و فی ربیع سنه ۱۹۵۶ (۳)وجد فی(کنکت)بالولایات المتحده الأمریکیه کره معدنیه غریبه یبلغ قطرها مترا،بداخلها اسطوانه تدور بسرعه کبیره،و تم نقل هذه الکره الغریبه الغامضه فی الحال إلی المعامل لتحلیلها.

و نزلت نتیجه التحلیل علی علماء الطبیعه و الکیمیاء کالصاعقه،فقدف.

۱- راجع التفسیر الکبیر(۲۱۱/۲۴).

۲- کان ذلک فی عام سنه ۱۹۵۳ م.

۳- راجع اللّه و العلم الحدیث للدکتور عبد الرزاق نوفل ص ۱۹۰ بتصرف.

استولی علیهم الـذعر،و احتوشـهم الفرق و الفزع و الذهول فقد ثبت أن الکره تتکون من الکوبالت فی حالته الطبیعیه الخالصه،و هـذا المعـدن فی هـذه الحاله غیر موجود علی الإطلاق علی وجه الکره الأرضـیه،و لا تفسـیر و لا تعلیل لهـذه الظاهره إلا أن هذه الکره و هذه الاسطوانه سقطت من کوکب آخر.

و أخیرا اسـتقر فی ضـمیر العلماء و الفلکیین أن هناک ألوف بل ملایین الکواکب مسـکونه بمخلوقات عاقله فاهمه مـدرکه،و قد لاحـظ الفلکی الیابـانی المشـهور«تسوینو سـاهیکی»أن هناک دلائل قاطعه علی وجود مخلوقات علی درجه عالیه من الـذکاء فی الکواکب الأخری (۱).

و قد صـرح الأمیرال بلمر فاهرنای المشـرف علی توجیه الطائرات و القذائف الموجهه بأمریکا فی حدیث له فی ۱۷ من ینایر سنه ۱۹۵۷ م.

بـأنه شاهـد أجسامـا طـائره مجهوله یبـدو أنهـا موجهه بفعـل کائنـات مخلوقه عـاقله مفکره جاءت تخترق طبقات الغلاف الجوی للأرض،و هذه الأجسام تطیر بسرعه مذهله.

و حکی أحـد الطیارین الأمریکیین أن جسـما غریبا قد اعترض طائرته و هی فی منتصف الطریق بین نیویورک و سان جون،و قد حاول الطیار أن یتفادی هذا الجسم الغریب بأعجوبه،و تم له ذلک و کان قد أصیب برعبا.

۱- و قـد أبـدی البروفیسور«تسوینو ساهیکی»عنایه خاصه و اهتماما بدراسه المریخ و مراقبته،و کان ذلک فی عام سـنه ۱۹۳۳ م.و قـد حدث انفجار غامض یوم ۹ دیسـمبر سنه ۱۹۴۹ م.و هـذا الانفجـار تولـد عنه ضوء ساطع خلال عـده دقائق تکونت علی إثره سحابه رمادیه مضیئه مائله للاصفرار و قد بلغ ارتفاعها ۶۴ کیلومترا و قطرها ۱۱۲ کیلومترا.

و و هل و فزع لأن كارثه محققه كانت على وشك الوقوع له و لطاقم طائرته (۱).

ثم أعلنت العقول الالكترونيه بعد ذلك أن هذه الأطباق الطائره حقيقه و أنها آتيه من كواكب أخرى و هى مدفوعه بمخلوقات عاقله مفكره بل إن بها مخلوقات (۲).

إذا اختلف العلماء فى روسيا و أمريكا على تفاصيل رحلات الفضاء، فإن هؤلاء العلماء جميعا قد اتفقوا على حدث غريب وقع يوم ۲۶ نوفمبر سنه ۱۹۵۸ م أى بعد أن أطلقت روسيا أول قمر صناعى فى التاريخ فى أكتوبر سنه ۱۹۵۸ م.فقد سجلت المراصد الفلكيه الأمريكيه و الأوروبيه ظهور جسم غريب مجهول فى الفضاء،و هذا الجسم يصدر أصواتا إنسانيه غير مفهومه.

ثم سجلت هذه المراصد إشارات قادمه من الفضاء الخارجى و أن هذه الأصوات قد أصبحت أمرا مألوفا،لكن جميعها تتشابك و تتضافر فى إعطاء مدلول قوى و هو أن هناك عقولا- كبيره فى أماكن مجهوله من الكون ترصد حركاتنا و ما نحن إلا دريئه لتجاربها.

نعود مره أخرى إلى قوله تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ (۳).ه.

۱- ورد هذا فى تقرير نشر فى ۱۱ مارس سنه ۱۹۵۷ م.لأحد طيارى شركه«بان أمريكان»« pan american ».

۲- اللّه و العلم الحديث بتصرف.

۳- الإسراء(۴۴/۱۷).و قال تعالى أيضا: قالَ رَبِّی یَعْلَمُ الْقَوْلَ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ .الأنبياء (۴/۲۱).و نستنبط أن هناك مخلوقات تتكلم و تتقول فى السماء،و يقول هو فصل الخطاب بين الكائن و الموجودات غير العاقله و بين الأخرى العاقله.

و قـد اتفقت آراء العلماء على أن المريخ و الزهره هما أكثر الكواكب ملاءمه و مواءمه و مناسـبه للحياه،و هذا أمر مجمع عليه من غير نكير.

و كان تعـديل العلماء على وجود الحياه فى إحدى هذين الكوكبين لظهور كل مقدمات الحياه و مخايل و أمارات و قرائن تقوّى غلبه الظن بذلك.

يقول الجيولوجيون إن ذره الكربون و مشـتقاتها هى أصـل الحيـاه لأنهـا مركبات متعـدده ذوات حلقات و سـلاسل طويله معقـده Complex chains لا تنتهى و هى تذوب فى غير الماء من سوائل بسهوله.

لا غنى أيضا عن النيتروجين فى بناء الخلايا الحيه للجسد البشرى،أو الكائن الحى.

و السليكونات أيضا Silicons مركبات غير منتهيه تتحمل درجات الحراره العاليه.

هـذه السـليكونات موجـوده على هـذه الكـواكب و هى مـن القرائن القـويه الـتى تـدعم الرأى القائـل بوجـود الحيـوان على هـذه الكواكب.

ص: ٧٢

سرعه دوران الجبال

تدور الجبال بسرعه فائقه غير مرئيه،و لكن الناظر إليها يراها راسخه ثابته مستقره على غير الواقع.

فالجبال بتكوينها و طبيعتها و ثقلها تشكل ضروره حتميه لحفظ اتزان الأرض،و لولاها لاضطربت الكره الأرضيه و فقدت توازنها،و هى تدور مع الأرض لأنها تشكل جزءا هاما غير مهمل متصل بالأرض اتصالا وثيقا،و من غير المعقول،أن تدور الأرض و لا تدور معها الجبال الراسخات،و الأعلام (۱)الرواسى،لأن معنى ذلك أن تنهار و تندك هذه الجبال،و هذا على غير الحقيقه فإنها تدور مع الأرض بنفس سرعتها، و لكن الدهماء و البسطاء من سواد الناس إذا حدثتهم بذلك أنكروا عن غير علم و فهم.

قال تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً،وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (۲).

۱- الأعلام:الجبال.و تبلغ سرعه دوران الأرض حول نفسها ۶۰,۰۰۰ ستين ألف ميل فى الساعه،أو نحو ألف ميل فى الدقيقه.و على وجه العموم فإن المنظومه الشمسيه كافه تنهب الفضاء بسرعه تقارب عشرين ألف ميل فى الساعه أى أكثر من خمسين ميلا فى الثانيه الواحده.

۲- النمل(۸۸/۲۷).جامده:واقفه،و ربما أريد بقوله تعالى: تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ أن يكون ذلك يوم القيامه،و هذا لا يتعارض مع احتمال أن يكون تنويها عن سرعتها فى الدوران مع سرعه دوران الأرض.أرجو مراجعه القرطبى(۲۴۲/۱۳)و الطبرى(۱۵،۱۴/۲۰).

و قال أيضا: وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكَمْ (۱).

و قال: وَ جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ (۲).

و قال عز من قائل: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَ الْجِبالَ أَوْتاداً؟ (۳).

يقول ابن كثير رضى اللّه عنه: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً أى ممهده للخلائق ذلولا لهم،قاره ساكنه ثابته.

وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أى جعلها لها أوتادا أرساها بها و ثبتها،و قررها حتى سكنت و لم تضطرب بمن عليها (۴).

و فى غايه الدقه العلميه و البيانيه يبين الحق سبحانه و تعالى أنواع الجبال، و تركيب هذه الأنواع فى قوله تعالى:

وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها،وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۵) .

يقول الإمام الفخر الرازى رضى اللّه عنه:

و الجدد:جمع جاده،و جده و هى الخطه أو الطريقه،فإن قيل:الواو فى وَ مِنَ الْجِبالِ ما تقديرها؟نقول هى تحتمل وجهين:أحدهما أن تكون للاستئناف،ثانيهما:أن تكون للعطف تقديرها و خلق من الجبال،قال الزمخشرى:أراد ذو جدد.).

۱- النحل(۱۵/۱۶).

۲- الأنبياء(۳۱/۲۱).

۳- النبأ(۶/۷۸،۷).

۴- تفسير ابن كثير(۴۶۲/۴).

۵- فاطر(۲۷/۳۵).

و اللطیفه الثالثه:ذکر الجبال،و لم یذکر الأرض کما قال فی موضع آخر وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ مع أن هذا الدلیل مثل ذلک،و فی الجبال و اختلافها دلیل القدره و الاراده لأن کون الجبال فی بعض نواحی الأرض دون بعضها دلیل القدره و الاختیار (۱).ن.

۱- التفسیر الکبیر للفخر الرازی(۲۰/۲۶)بتصرف یسیر.ثم یقول الرازی فی نفس المرجع ص ۲۱: قیل بأن الغربیب مؤکد للأسود،یقال أسود غربیب،و المؤکد لا یجیء إلا متأخرا فکیف جاء غرابیب سود؟فذکر الرازی قول الزمخشری ثم قال:هو علی التقدیم و التأخیر،و نسبه لبعض المفسرین.

فی کلّ شیء له آیه

قال الشاعر:

و فی کل شیء له آیه تدلّ علی أنه الواحد

مثل قول الشاعر لبید و هی کلمه حق غیر مسبوق فیها:

ألا کل شیء ما خلا اللّه باطل و کل نعیم لا محاله زائل

فی کل موجود مخلوق و فی کل کائن یرزق برهان و دلیل علی عظمه الخالق سبحانه و تعالی و قیومیته و فی هذا العبره و الموعظه لأولی الألباب و لأولی النهی الذی یستمعون القول فیتبعون أحسنه.

و بالنسبه لخلق الإنسان و أطوار حیاته فی بطن أمه،ثم أطوار حیاته خارج بطن أمه فقد ناقشناها فی دراسه علمیه دقیقه فی کتابنا الشهیر المتواضع:«الاعجاز الطبی فی القرآن»فلیرجع إلیها من أراد التوسع فی مباحث خلق الإنسان و تکوینه الفطری و کل الدوافع النفسیه، و المحرکات الحسیه و تقییمها فی میزان الدراسات العلمیه الإسلامیه.

قال تعالی: ذلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ فَاعْبُدُوهُ، وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ (۱).

و قال عز من قائل:

۱- الأنعام(۱۰۲/۶).

لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ (۱) .

و إذا كان هذا موقف الجبل إذا نزّل عليه القرآن،فالأحرى بالإنسان المخلوق العاقل الذى كرّمه اللّه سبحانه و تعالى و أولاه عنايته و رعايته و خوّله كثيرا من آلائه و نعمه حرى به و قمين به أن يكون أكثر خشيه و خشوعا للّه سبحانه و تعالى و قد نزل القرآن الكريم إليه يخاطب عقله و فكره و وجدانه.

قال تعالى أيضا: وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ (۲).)/

۱- النحل(۷۸/۱۶).

۲- السجده(۹/۳۲)/

عجائب المملکه الحیوانیّه

تحتوی المملکه الحیوان علی عجائب و غرائب جدیره بالبحث و الاعتبار إذ أنها تشمل أکثر من ملیونی فصیله کما یقدرها العلماء البیولوجیون biologists و لم یهتد العلم إلا إلی الندر الیسیر منها و لا یزال البحث موصولا لاستکشاف المزید منها.

قال تعالی: وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ (۱).

یقول الإمام الفخر الرازی:«قال القاضی:أنه تعالی لما قدم ذکر الکفار و بیّن أنهم یرجعون إلی اللّه و یحشرون،بیّن أیضا بعده بقوله وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ فی أنهم یحشرون،و المقصود بیان أن الحشر و البعث کما هو حاصل فی حق الناس فهو أیضا حاصل فی حق البهائم» (۲).

۱- الأنعام(۳۸/۶).

۲- راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی(۲۲۲/۱۲).ثم یقول المؤلف-رحمه اللّه-فی نفس المرجع:من الحیوان ما لا یدخل فی هذین القسمین مثل حیتان البحر و سائر ما یسبح فی الماء و یعیش فیه و الجواب لا یبعد أن یوصف بأنها دابه من حیث أنها تدب فی الماء أو هی کالطیر،لأنها تسبح فی الماء کما أن الطیر یسبح فی الهواء.

الغرائب فی عالم النّبات

قال تعالی: وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ یُسْقی بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۱).فی الأرض بقاع مختلفه متلاصقه قریب بعضها من بعض لکل منها نفس ظروف الأخری من الماء و الهواء و التربه و الغذاء و لکن فیها الفاضل و المفضول،و الأفضل.

و فی هذه البساتین،و المروج الخضراء،و الجنّات الفیحاء ممدوده الظلال و الأفیاء من شجر العنب،بل و أنواع الزروع و الحبوب و النخیل و الرطب تسقی جمیعها بماء واحد،و لکن بعضها حلو و بعضها مر.

یقول الحق تبارک و تعالی عز من قائل:

وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ، فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراکِباً وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِیَهٌ وَ جَنّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَ الزَّیْتُونَ وَ الرُّمّانَ مُشْتَبِهاً وَ غَیْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلی ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ یَنْعِهِ إِنَّ فِی ذلِکُمْ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۲).

۱- الرعد(۴/۱۳).قال ابن عباس رضی اللّه عنهما:أرض طیبه و أرض سبخه تنبت هذه،و هذه إلی جنبها لا تنبت.راجع تفسیر الطبری(۹۷/۱۳)بتصرف.راجع أیضا مجاز القرآن(۳۲۲/۱).

۲- الأنعام(۹۹/۶).القنوان:هی عذوق النخل،واحدها قنو،جمع علی لفظ تثنیته غیر أن الحرکات تلزم نونه فی الجمع،و هی فی الاثنین مکسوره،مثل صنو و صنوان فی التثنیه،و صنوان فی الجمع. انظر مجاز القرآن(۲۰۲/۱).

قال الإمام الطبرى:أى أخرجنا بالماء ما ينبت كل شىء،و ينمو عليه و يصلح به (۱).

و المملكه النباتيه تساهم بنصيب وفير فى تجميل الطبيعه،و لا أحد يدرك قيمه هذه المشاهد الجماليه و روعه جمالها و جمال روعتها إلا بعد أن ينظر إلى القفار المهجوره،و المهامه القاحله التى تفتقد الخضره و الماء و الحياه.

و بقدر استمتاع الإنسان بمشاهد النبات الجميله الخلابه تكون مسئوليته فى إقامه الحجه عليه،فهى متعه له و شهاده عليه،إن نزول الماء من السماء،و إخراج النبات من الأرض الميته لا تدع حجه بعدها و لا برهان لمنكرى البعث من الجاحدين المرجفين.

و اختلاف النباتات و الثمار على الرغم من تشابه ظروفها جميعا خير دليل على قدره الخالق المبدع المصور،إن هذه المشاهد لا تدع مجالا للتردد أو التقاعس عن الإيمان و التسليم بقدرته سبحانه و تعالى و قيوميته.

إن هذه الآيات البينات و البراهين الناطقه و الأدله القويه تتضافر جميعا لتدحض افتراء الجاحدين،و تدفع افتراء الباطل اللجوج الممترى فيه، المطعون فيه.

ليس هذا فحسب،لكن لا يجب إغفال دور النبات الحيوى فى توازن الغازات فى الطبيعه،فإن له دورا كبيرا فى ثبات معدل الأوكسجين فى الكون فلولاه لنقص معدل الأوكسجين و كانت النتيجه الهلاك المحقق).

۱- جامع البيان(۵۷۳/۱۱).

لكـل الكائنـات المخلوقه التى تعتمـد على الأوكسـجين فى عمليـات الأيصن و المتيابوليزم. oxygen is necessary for metabolic processes.

كلنا نعرف أننا نأخذ الأوكسـجين من الهواء الجوى،و نطرد من أجسامنا ثانى أوكسيد الكربون،و يقوم النبات بإعطاء الأوكسجين و يأخذ هو ثانى أوكسيد الكربون،من ثم يحدث التوازن الغازى للأكسجين و ثانى أوكسيد الكربون بواسطه النباتات.

و لاـ تزال الـدراسات و البحوث العلميه تجرى على قـدم و سـاق،و هى مصـروفه إلى المزيـد من الاكتشافـات العلميه و الطبيه من النبات.

و من أهم العمليات البيوكيميائيه المثيره الغرابه عمليه النتـح تلك التى لا يجب أن يسـتهان بها فربما تنتج شـجره واحده ما يقرب من خمسمائه لتر من الماء فى اليوم الواحد،و يزداد معدل النتح بازدياد حراره الجو و درجه الجفاف،و اشتداد الرياح.

و ليست عمليه النتح مقصوره على صـعود العصاره الذائبه فى الماء إلى النبات فحسب بل تقوم بتلطيف الأنسـجه الداخليه،و تنظم حرارتها.

و كل نبات من النباتات موسوم بصـفات خاصه به يتلاءم بها مع بيئته التى ينمو فيها،لـذلك نجد لكل نبات توزيعا جغرافيا خاصـا به،حيث يكثر فى الأمـاكن التى تنـاسب نموه و حياته.فـالروابى لهـا أنواع خـاصه بهـا من النباتـات،و السـهول و الوديان لها أنواع أخرى،أما الصحراء و المفاوز، و الفيافى فإن لها فصائل معينه تقاوم الجفاف و تصبر عليه.

و تسمى النباتات الصحراويه بالنباتات الزيروفيتيه xerophyte plants.

فهی تمتاز بصفات شکلیه و تحویرات تستطیع بها مقاومه الجفاف و هی أقدر علی تحمل الحراره العالیه،و مقاومه الریاح أیضا.کما لوحظ أن هذه النباتات تتمیز بالخشونه و کثره الأشواک مع تشابک الأغصان فیظلل بعضها بعضا حیث یتکون منها شکل کروی یحجب الشمس عنها ما أمکن ذلک فتکون أزراره الداخلیه فی حرز و مناعه بل مصونه عن الریاح الشدیده فلا تتأثر بها (۱).

کما تمتاز بشره أوراق هذه النباتات الصحراویه بثخانه جدارها تغطیه ماده جافه و شمعیه.

فی بعض هذه النباتات توجد طبقات و بریه کثیفه تغطی سوقها و أوراقها فتمنع أشعه الشمس فتذوب عن النبات الحراره.

و فی بعض الأحیان یغطی النبات بقشور من مواد النتح،کما فی نبات الطقطیق.

و تقوم بعض النباتات بغرز زیوت طیاره تنتشر فی الجو المحیط به فتحول دون وصول حراره الشمس إلی بنیه النبات و هذه تتمثل فی نباتی الشیح و العیتران.

کما أن بعضا من هذه النباتات الصحراویه تقاوم الجفاف و ارتفاع درجه الحراره فی هذه الأجواء الصحراویه الشدیده الغیظ الرمضاء بتضییق الثغور فی أوراقها و تقلیلها حتی تقل کمیه النتح إلی أقل و أدنی حد مستطاع،بل قد یصل الحال إلی إفراز ماده شمعیه توقف عملیه النتحف.

۱- راجع اللّه و العلم الحدیث ص ۷۰ بتصرف.

تماما و يظل النبات ساكنا مستقرا حتى يأتى المطر.

من خصائص هذه النباتات أيضا أنها تمتاز بجذور كبيره الحجم نسبيا، كما تتفرع هذه الجذور و تتعب و تمتد إلى مساحات بعيده بحثا عن الماء حتى تتسع مساحتها و هذا من قبيل اختزان الماء و احتوائه لأوقات الشده و عند غياب المطر.

و المعروف أن التين الشوكى و نبات الصبّار يختزنان كميات كبيره من الماء يختزنها التين الشوكى فى سوقه الهوائيه و يختزنها الصبار فى أوراقه.

و لما كان النبات ساكنا غير متحرك كالإنسان فإنه يتعرض كالإنسان لقائله العدوان عليه و النيل منه من الحيوانات الشرسه،فكان الإنسان مهيئا لردع العدوان عليه إما بالتغلب عليه أو بالفرار منه،و ما لم يمكن للنبات أن يفر من عدوه الجائر كان لا بد أن يحتوى فى ذات تكوينه فهذه النباتات تحتوى على أشواك حاده منتشره فى سوقها و أوراقها و ثمارها كما فى نبات الخشير.

و من هذه النباتات ما تكون أطرافها حاده كالشوكه حتى إذا ما ابتلعها الحيوان كانت كالحربه مزقت أمعاءه.

سبحانك ربنا وسعت كل شيء رحمه و علما.

التزواج فی المملکه النباتیه

قال تعالی: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (۱).

و قال أیضا: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۲).

و قال أیضا: وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (۳).

و قال: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۴).

و لما كانت إراده اللّه سبحانه و تعالی غیر المنتهیه أو المحدده،قد قضت بحتمیه الزوجیه كأساس لبناء هذا التكوین الحیوی فی هذه المملكه الكونیه،فلا بد أن یهیئ لها كل مقتضیات هذه الزوجیه من ظروف و أسباب محتومه.

قال تعالی: إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (۵)و النبات حریص حرص الإنسان علی استبقاء نوعه،و استمرار جنسه و المحافظه علی نوعه،فلما كانت الثمار هی الوعاء الرئیسی الذی یحتفظ بالبذور،و التی تكتنفها زوائد،و هذه الزوائد تساعد علی انتشار هذه البذور من مكانها إلی أی

۱- النجم(۴۵/۵۳).

۲- الإسراء(۶۷/۱۷).

۳- الرعد(۳/۱۳).

۴- الذاریات(۴۹/۵۱)و المقصود بالزوجین هنا الضدین:ذكرا و أنثی،و حلوا و حامضا،و أشباه ذلك.

۵- القمر(۴۹/۵۴).یقول ابن كثیر-رحمه اللّه-فی تفسیره(۲۶۷/۴):أی قدّر قدرا و هدی الناس إلیه،و لهذا یستدل علماء و أئمه السنه بهذه الآیه علی إثبات قدر اللّه السابق لخلقه،و هو علمه الأشیاء قبل كونها.أ ه.بتصرف یسیر.

مکان آخر.و قـد لوحظ أن النباتات الصـحراویه أشد حرصا علی تکاثرها و اسـتبقاء نوعها لذلک حرصت علی أن تکون بذورها صغیره ملساء حتی یسهل نقلها بواسطه الهواء.

بل إن بعض هذه النباتات الصـحراویه تمتاز بذورها بوجود شـعیرات صـغیره علیها لتخفف وزنها و بعضـها یشـبه الأجنحه لیسـهل طیرانها فی الهواء.

ثمّ أیضا أنواع من البذور تتمیز بألوان جذابه،و مذاق جمیل لتستدرج الإنسان و تغریه بنقلها.

و الذی یلاحظ أنواع النباتات المختلفه و ما یکتنف کل واحده منها من تحویرات Metamorphism طبیعیه لتلائم الطبیعه و البیئه الناشئه فیها یری العجب العجاب.

کثیر من نباتات الماء یوجـد فی بذورها زوائد تساعدها علی العوم فی الماء،کما أن بها جدرا سـمیکه لتحفظها من التعفن لکونها مغموره بالماء باستمرار.

و قـد بلغت أعمـار کثیر من النباتـات ردحـا طویلاـ من الزمان و جماع القول أن من النبات ما یعمر أیاما،و البعض یعمر شـهورا و سنین، و البعض یعمر مئات السـنین،و ثمه نـدره تعمر بضـعه ألوف من السـنین و اللّه سـبحانه و تعالی أعلم.و قد وجد البروفیسور روبرتسون robertson حفریه نبـاتیه عزاها إلی ۱۱۵ ملیون سـنه،و قـد عوّل علیها فی تقـدیر عمر الکون، لکنی لا أسـتطیع أن أقطع بصـحه هـذا التقدیر إذ أن تفصـیله لم یتوفر لدی و لم أجد من القرائن المؤیده لرأیه ما یدعم رأیا أو یدحضه لکن المنتهی إلیه

أن بعضا من النباتات قد يتجاوز عمرها بضعه آلاف من السنين.

النباتات المائيه

هناك أنواع من النباتات تعيش فى الماء،و هى متموره لتلائم هـذه الطبيعه،فليس لها مجموع جـذرى،و ليس لها-أن وجدت-أى دور فعّال فى امتصاص الماء.

و كل أجزاء هذه النباتات المطموره مؤهله بل قادره على امتصاص الماء.فسبحان الخالق البارئ المصور.

النباتات المتوحشه

و تسـمى النباتـات آكله الحشـرات،و هـذه النباتات تعيش فى تربه فقيره فى المواد العضويه لا يكفيها ثروتها من المواد المعـدنيه المغـذيه،فهى لـذلك مزوده بشـباك تقتفى بها الحشـرات و الهوام بواسـطه هـذه الشـراك المتمثله فى زوائد شوكيه على سـطح النبات العلوى،فإذا وقعت حشـره على هـذا النبات سـرعان ما يطبق عليه مصـراعا الورقه ثم يضـغطان هذه الحشـره التى سـرعان ما يتحلل جسـمها بأنزيمات تحليليه analytic enzymes التى تذيب محتويات الحشـره العضويه organic substances توطئه و تمهيدا لامتصاصها بواسطه النبات.

لكن نبات الدروسيرا تغطى أوراقه زوائد تنتهى عند أطرافها بغدد

تفرز ماده حمضيه لزجه تقتفى الحشرات التى تقترب من ورقه هذا النبات و تحتويها الزوائد و تحاصرها ثم يفرز النبات الإنزيمات الهاضمه التى تتولى تحليل هذه الحشره و يقوم النبات بامتصاص محتواها.ثم يتفرج الزوائد بعد ذلك تمهيدا لاقتناص حشره أخرى و ثالثه و هكذا.

ص: ٨٧

المملكه الحيوانيّه و المملكه النباتيّه

سرّ جمال هذه المعموره

من السمات المميزه لكوكب الأرض عن باقى أفراد المنظومه الشمسيه و غيرها من المنظومات السياره أن المملكه الحيوانيه،و المملكه النباتيه متضافرتان معا تكونان عصب العمران فى هذا الكوكب الأرضى، كذلك فإنهما منوط بهما سر هذا الجمال الساحر،و الطبيعه الخلابه التى تسبى العيون،و تأخذ بالألباب.

و قد قسم العلماء البيولوجيون biologists الحيوانات إلى أكثر من مليون نوعا مختلفا منها.و علماء النبات إلى ما يربو عن ثلاثمائه ألف نوعا،و لا تزال البحوث و الدراسات كل يوم ترتاد مجاهل الكون،و معامى الطبيعه فتسفر عن اكتشاف المزيد و المزيد من هذه الأنواع و هذه الفصائل،و لا يزال فى ضمير الغيب الخطير و الجلل من المحجبات غير المنظوره التى لا يعرف مداها إلا اللّه سبحانه و تعالى جل شأنه و تعالت قدرته.

هذه الأعداد الرهيبه التى تعمر أرجاء المعموره،و كافه أقطارها من الحيوانات و النباتات المختلفه،كل منها تختلف عن الأخرى فى وجوه شتى غير محصوره،و من غير المعقول أن تفسح لها مجالا لبسط القول فيها أو تفصيله لأن هذا منوط بالدارسين المتخصصين فى علم البيولوجيا biology و علم النبات botany.

و الذى نكتفى به هنا هو التنويه عن هذه الأنواع،و بيان نواحى

الإعجاز فيما بينها من تباين.

و وجوه الاختلاف و التباين variations بين كل منها جدير بالتأمل و التفكر و الاعتبار،و هو تباين من ناحيه الشكل shape و من ناحيه الحجم volume و الوظيفه function و طول العمر age peroid و فى التكاثر multiplication.

و قد ذكر الدكتور أحمد زكى فى هذا الشأن أن الحوت الأزرق،هو أكبر أحياء الماء يبلغ طوله نحو مائه قدم،و وزنه مائه طن تقريبا،و نذكر الفيل،و هو أكبر الحيوانات الثدييه the biggustone of mammals على وجه الأرض قاطبه (۱).

و من النباتات الضخمه الحجم شجره الجباره redwoods و هى صنف من الأشجار يعلو فى الهواء إلى نحو ۳۰۰ قدم،و بعضها يعيش آلاف السنين من ثلاثه إلى أربعه آلاف سنه و كلما تدنى السلم الحيوانى نجد أعدادا غفيره لا حصر لها من الحشرات و الطفيليات و الحيوانات الأوليه (۲).

و كلما تدنّى السلم النباتى كذلك ألفينا أعدادا غفيره أيضا لا حصر لها من النباتات غير المعروفه حتى الآن،و لا يزال الباحثون جاهدين فى سبر أغوارها لتجليه ما يكتنفها من غموض و إبهام،و هى جميعها ذوات أشكال و ألوان و تراكيب عجيبه منها النافع و الضار،و السام و غير ذلك.ف.

۱- راجع«مع اللّه فى الأرض»ص ۸۲ ط.الهيئه المصريه العامه للكتاب ط.سنه ۱۹۷۹ م.بتصرف.

۲- السابق نفس الصفحه بتصرف.

و الشيء الذى يجب لفت الأنظار إليه أن هذه الأحياء الحيوانيه و النباتيه هى فى المجال المنظور من الطبيعه،بيد أن هناك أحياء أكثر إثاره،و أعظم إغراء فى المجال غير المنظور بالعين المجرده.

و قد أماط اللثام لنا المجهر الضوئى العادى light microscope عن كثير من الدقائق غير المرئيه،و جاء بعده المجهر الإلكترونى electron microscope فوجدنا عبره ملايين الدقائق و الفصائل و الجماعات المثيره الدهشه،فكانت هذه المجاهر فتحا جديدا للعلم الإنسانى و التطور البشرى المعاصر،و قد وضعت حدا فاصلا بين مجاهل الماضى و مهامه و معامى الظنون و بين حضاره و علم و يقين الحاضر،و لا يزال هناك الأمل مرجوا فى المستقبل القريب أن يحيط اللثام عن الغريب و المثير فى عالم اللامرئيات غير المنظوره لتنفسح أمامنا و تتكشف عوامل و عوالم مجهوله ما أحوجنا إلى ولوج عالمها و ارتياد مجاهلها.

و من الشاق بل من المتعذر حصر هذه المخلوقات الغفيره فى أعداد ثابته محصوره،إنما كل هذه الأرقام المنتهى إليها هى مجرد إحصائيات تقريبيه راجحه.

الذى يذهب إلى حديقه الحيوان مثلا او إلى المتاحف العلميه فى الكليات العلميه مثلا scientific museums. يرى و يشاهد الغريب و الشائق من روائع مخلوقات اللّه سبحانه و تعالى.

و قد قسّم العلماء الحيوانات إلى رتب classes و الرتب إلى فصائل و هلم جرّا،مثال ذلك تقسيم آكلات اللحوم إلى فصائل families مثل فصيله القطط cats و فصيله الكلاب dogs و فصيله عجول البحر Seals و غيرها.

ص: ٩٠

و قـد لوحـظ أن الكلاـب على سبيـل المثـال تجمـع بيـن أفرادهـا النـوع Species، ثـم يقـل التشـابه تـدريجيا بيـن الأجنـاس genuses، و بالترقى إلى الفصيله family نجد ازدياد التباعد و القله فى الشبه بين هذه الفصائل.

هـذه المخلوقـات جميعـا معزوه إلى أصـل خلقى واحـد،و لكن التبـاين فيمـا بينهـا و الاختلاف مرجعه إلى غايات دقيقه.فاللواحم معروفه بأنها آكلات اللحم،و الفقاريات تحتوى على فقارات بظهورها،كذلك فالرخويات تمتاز بلين جسمها خلا العظام؟.

و ليكن معروفا أن وحده الخلق creature unite تجمع بين الألوف بل ملايين الأحياء.

و رغـم وجود.كـثير مـن الخلاـف بيـن كـل هاتيـك الأـنواع إلاـ أنـه لاـ يتطرق إلى أصـول وظـائف الحيـاه الفسـيولوجيه physiological functionsp .

و خير دليل على هذا فإن الجهاز التنفسى respiratory system .يتمثل فى الإنسان فى الرئتين و الشـعب الهوائيه أساسا،و لكن الأسـماك و هى تقضـى حياتهـا فى المـاء كـان لا بـد أن يتطور جهازها التنفسـى ليلائم و ليناسب طبيعه حياتها،و لا يمكن للسـمك أن يسـتغنى عن الأوكسـجين الـذى يعتـبر عصب الحيـاه بالنسـبه له كمـا هـو للإنسـان،و لكن عليه أن يسـتخلص عنصـر الأوكسـجين المـذاب فى المـاء،فلاـ تتناسب رئتا الإنسان مع ذلك،و لا يمكن أن يكون للسـمك رئتين تماثلان رئتى الإنسان بل اسـتعيضت و اسـتبدلت الرئتان فى الإنسان بالخياشـيم للأسـماك حتى تتناسب الأخيره مع طبيعه اسـتخلاص غاز الأوكسـجين من الماء،و هكذا لا بد أن ندرك أن الاختلاف بين هذه المخلوقات معزو و راجع إلى حكم علميه

و حقائق فطريه لا يجب أن يتجاهلها الإنسان أو يشيح عنها بحال لأنها جميعا تنم عن قدره الخالق سبحانه و تعالى و قدره خلقه و إعجازه غير المحدوده.

التنفس موجـود فى الإنســان و الحيـوان و لكــن بتغير حســب الظروف الــتى يعيش فيهــا كــل كــائن according to circumstances .و لا يمكن أن يقوم بهذا الإبداع و هذه الدقه فى الخلق غير القوه الإلهيه القادره المهيمنه، سبحانه و تعالى خالق كل شىء.إنها لعبره للمعتبرين،و يقين للمتقين.

فى البحـار و المحيطـات من العجائب و الغرائب ما يثير الـدهشه و الغرابه و قـد قرر هـذه الحقيقه الصادقه القرآن الكريم فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱).

و فى هـذه الآيـات البينـات دلالـه قويه رصـينه لا مزيـد عليها على أن البحر من المسـخرات التى أنعم اللّه بها على بنى البشـر،و ما يستخرج منه من السمك و هو اللحم الطرى من أعظم ما ينتفع به الإنسان.

و قـد أثبتت الحقائق غير الممترى فيها أن البحار و المحيطات تشـغل ۷۵٪أى ثلاثه أرباع سـطح الأرض،كما تختلف صفات الماء من مكان لآخر،و من بقعه لأخرى.ن.

۱- النحل(۱۴۱/۱۶).يلاحـظ فى قوله تعـالى وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ كلمه مَواخِرَ تشـعر القارئ أو السامع بصوت السـفينه و هى تمخر عباب الماء فيسمع خريره و صوته و هذا من دقه البيان القرآنى الرصين،مما يؤكد أنه تنزيل رب العالمين.

يقول بعض العلماء:إن يبارى الزمان فى دوامه،و يطاول الخلود فى بقائه،تمر مئات و ألوف بل ملايين السنين و الأحوال،و تدول الدول، و تحول الأحوال و تصير الأوديه جبالا،و تنقلب الجبال و ديانا،و تتغير أكثر مكونات الطبيعه و تصير إلى غيرها و لكن البحار و المحيطات تظل كما هى فى جريانها لا تتغير و لا تتحول عن مجاريها إلا فى أضيق الحدود بنسب ضئيله مهمله ساقطه من حساب الزمان.

بعد اكتشاف التصوير الفوتوغرافى تحت سطح الماء انجلت كثير من المشاهد المجهوله غير المعروفه قبل ذلك (۱)،فكان هذا التصوير فتحا جديدا،و لا تزال البحوث و الدراسات العلميه النافعه قائمه على قدم و ساق لفك كثير من طلاسم الحياه و الأحياء النباتيه و الحيوانيه فى أعماق سحيقه فى البحار و المحيطات،فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء.

و يحتوى عالم البحار على ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر،و إذا كانت نقطه الماء الموضوعه على شريحه زجاجيه إذا وضعتها تحت المجهر الالكترونى electronic microscope رأيت فيها من الأحياء الدقيقه غير المرئيه ما لا حصر له من المخلوقات،فلا جرم أن البحار فيها ما فيها من الحيتان و المائيات الحيوانيه أعداد لا حصر لها، و لكل منها تكوين و طبيعه و غرائز خاصه،تختلف من كل أحد فيها عن الآخر اختلافا شديدا،لكنها فى جملتها متحوره لكى تلائم حياه الماء.

و كما على وجه الأرض يتسلط القوى على الضعيف،و يطيح العملاقك.

۱- كانوا قديما متوهمين أن قاع المحيطات مستو،و قد ثبت أنه تعاريج و سهول و جبال مختلفه التكوين و الأنواع و لم يوجد مستويا كما كانوا يحسبونه،أو كما كان مظنونا قبل ذلك.

بالقزم،كذلك يحدث فى أحشاء البحار و المحيطات حيث يلتهم القوى الضعيف،و يتغذى الكبير على الصغير و فى هذا تتمثل الحياه فى أدق معانيها.

من الحيتان نوع يسمى الكاشلوت يطوق المحيط طولا و عرضا، كالأسد فى الغابه ليث العرين،و هو حوت ضخم الحجم ذو أنياب حاده قويه،حتى أن المراكب لو وقعت بين فكيه لقيت هند الأحامس، و تهشمت أجزاؤها و ما فيها و من فيها.

ص: ۹۴

اللؤلؤ و المرجان

قال تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (۱).

قال الإمام محمود شكرى الألوسى فى تفسيره:اللؤلؤ صغار الدر، و المرجان كباره (۲)،و عن ابن مسعود رضى اللّه عنه أن المرجان هو الحرز الأحمر.

و حيوان اللؤلؤ من عجائب أحياء البحار،و هو يصول و يجول فى أعماق البحار،و أحشاء المحيطات حيث ينتهى إلى أعماق بعيده،و اللؤلؤ يوجد داخل صدفه جيريه لتحافظ عليه من المخاطر البيئيه و تتكون من ثقوب صغيره ضيقه أشبه بشبكه الصياد كالمصفاه حتى تحول بين الحصى و الرمال فلا تصل إليه،فإذا ما حاول جسم غريب اقتحام اللؤلؤ فى صدفته سارع بإفراز ماده لزجه يغطيها بها،ثم تتجمد مكونه لؤلؤه.

أما المرجان فهو من الأحياء ذات الأهميه العلميه،فهو يعيش على أعماق مختلفه فى البحار بين خمسه أمتار و ثلاثمائه متر.و توجد فتحه فمه إلى أعلى،و مؤخره جسمه يثبتها عاده بصخره أو أعشاب البحر.و فتحه الفم عنده مزوده بزوائد قويه يمكنه بها اقتناص فريسته،فإذا لمست هذه

۱- الرحمن(۲۲/۵۵).

۲- راجع روح المعانى(۱۰۶/۲۷)و هذا القول مروى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما،و قد روى الطبرى عن ابن مسعود أنه قال:المرجان الخرز الأحمر،أى البسّذ و هو المشهور المتعارف،و اللؤلؤ، شامل للكبار و الصغار.أ ه.بتصرف.

الزوائد أصابها الشلل،و التصقت بها من فورها،ثم تنكمش الزوائد شيئا فشيئا ثم تعرج على الفم حتى تجد الفريسه أنها أصبحت مطبقا عليها بواسطه الفم.

و من دلائل قدره اللّه سبحانه و تعالى أن حيوان المرجان يتكاثر بطريقه التذرر،و لذلك تتكون شجره المرجان من ساق سميكه،تدق شيئا فشيئا نحو الفروع حتى تبلغ منتهى دقتها عند الفروع،و هى ذات ألوان مختلفه، ترى فى البحار صفراء برتقاليه،أو حمراء قرنفليه،أو زرقاء زمرديه،أو غبراء باهته (۱).

و المرجان الأحمر هو المحور الصلب المتبقى بعد فناء الأجزاء الحيه من الحيوان،و تكون الهياكل الحجريه مستعمرات هائله big colonies و قد كان مظنونا أن هذه المستعمرات إن هى إلا قمم البراكين المغموره تحت الماء.

و أكثر ما تكون هذه المستعمرات فى المحيطين الهندى و الهادى،حيث يرتفع عن الماء و تتسع حتى يبلغ من اتساعها أن تستعمر و تأهل بالسكان، و قد تبقى تحت سطح الماء تهدد الملاحه البحريه (۲).۱.

۱- اللّه و العلم الحديث ص ۸۱ بتصرف.

۲- راجع السابق بتصرف ص ۸۱.

حال الجبال يوم القيامه

قال تعالى: وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (۱).

معنى الآيه:أى و إذا أزيلت الجبال عن أماكنها من الرجفه الحاصله على أن التسيير مجاز عن ذلك،و فى سيرت بعد رفعها فى الجو كما قال تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً،وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ و هذا إنما يكون بعد النفخه الثانيه (۲).

و يقول الإمام الزمخشرى:و إذا الجبال سيرت:أى زالت عن وجه الأرض و أبعدت،أو سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (۳).

و يقول الحق سبحانه و تعالى أيضا: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً (۴).

و قال أيضا: يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً (۵).

يقول الفخر الرازى:مور السماء هو خروجها عن مكانها تتردد،

۱- التكوير(۳/۸۱).

۲- روح المعانى للإمام شكرى الألوسى(۵۱/۳۰).يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره(۴۷۵/۴): «و إذا الجبال سيرت:أى زالت عن أماكنها و نسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا»أ ه.

۳- الكشاف(۲۲۱/۴)ط.دار المعرفه.بتصرف.

۴- الكهف(۴۷/۱۸).

۵- الطور(۹/۵۲،۱۰).

و تتموج (۱).

يقول الخازن:الحكمه مور السماء و سير الجبال،الإنذار و الإعلام بأن لا رجوع و لا عود إلى الدنيا،لأن الأرض و السماء و ما بينهما من الجبال و البحار و غير ذلك إنما خلقت لعماره الدنيا و انتفاع بنى آدم بذلك،فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها اللّه تعالى،و ذلك لخراب الدنيا و عماره الآخره (۲).

إنه منظر عنيف رهيب يشيب لهوله الولدان.

تأمل قوله تعالى: وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً (۳).

يقول الطبرى:صارت الجبال بعد نسفها هباء منبثا لعين الناظر، كالسراب الذى يظنه من يراه ماء،و هو فى الحقيقه هباء (۴).

قال الألوسى:و سيّرت الجبال:أى فى الجو على هيئتها بعد تفتتها، و بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (۵).

و لكن ثمه آيات أربع كريمه تصور مدى الهلع و الفزع يوم القيامه الذيف.

۱- التفسير الكبير(۲۴۳/۲۸).

۲- راجع تفسير الخازن(۱۰۷/۴)بتصرف.

۳- النبأ(۲۰/۷۸).

۴- جامع البيان للطبرى(۷/۳۰).

۵- روح المعانى(۱۳/۳۰).و معنى قوله تعالى فكانت سرابا يقول الألوسى فى السابق:أى فصارت بعد تسييرها مثل سراب فترى بعد تفتتها و ارتفاعها فى الهواء كأنها جبال و ليست بجبال بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل كالسراب.أ ه.بتصرف.

من جرائه ترجف الأرض،و تنهار الجبال،و تندك الأعلام،فتصبح هباء منبثا.و هذه الأحداث تكون يوم القيامه الكبرى.

قال تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا (۱).

و الكثيب المهيل هو الرمل السائل.قال ابن كثير فى تفسيره:«أى تصير الجبال ككثبان الرمل بعد ما كانت حجاره صماء،ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شىء إلا ذهب حيث تصير الأرض و تصبح قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا،و لا أمتا أى رابيه،أى لا شىء ينخفض،و لا شىء يرتفع،ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش و المراد سائر الناس إِنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ » (۲).

يقول الزمخشرى رضى اللّه عنه:الرجفه:الزلزله الشديده،و الكثيب الرمل المجتمع من كثب الشىء إذا جمعه،كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله،و منه الكثبه من اللبن (۳).

هذه الجبال الرواسى،و الأعلام الراسخه سينسفها اللّه سبحانه و تعالى يوم القيامه نسفا فتتطاير فى الهواء هنا و هناك فليس لها يومئذ وزن و لا ثبات،و لا تقوم لها قائمه..

۱- المزمل(۱۴/۷۳).

۲- تفسير ابن كثير(۴۳۸،۴/۴۳۷)بتصرف.

۳- الكشاف للزمخشرى(۱۷۷/۴)ط.المعرفه.ثم يقول أيضا:قالت الضائنه:أجز جفالا و احلب كثبا عجالا،أى كانت مثل رمل هيل هيلا،أى نثر و أسيل و الخطاب فى الآيه لأهل مكه.أ ه.

قال تعالى: وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ (۱).

قال الإمام الألوسى:جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف و نحوه، و بست الجبال بسّا،و كانت الجبال كثيبا مهيلا (۲).

قال أبو حيان فى البحر المحيط:فرقتها الرياح و ذلك بعد التسيير، و قيل ذلك جعلها هباء،و قيل نسفت أخذت من مقارها بسرعه من انتسفت الشىء إذا اختطفته.

و قرأ عمرو بن ميمون طمست و فرجت بتشديد الميم و الراء و لكن صاحب الكشاف ذكر أن الأفعال الثلاثه قرئت بالتشديد (۳).

بل إن المشركين سألوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن الجبال،فأمر أن يخبرهم بأنها على قوتها و ركانتها إلا أنها ستنسف ستنسف يوم القيامه نسفا.

قل تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ،فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً (۴).

و القاع من الأرض:المستوى الذى يعلوه الماء.

و الصفصف:المستوى،يريد لا نبت فيها،و الأمت:النّبك (۵).

و القارئ للآيات السالفه الذكر يرى أن أحوال الجبال يوم القيامه.

۱- المرسلات(۱۰/۷۷).

۲- رواح المعانى(۱۷۲/۲۹).

۳- السابق بتصرف.

۴- طه(۱۰۵/۲۰-۱۰۷).

۵- ذكر القرطبى فى جامعه(۲۴۶/۱۱):الأمت:النباك،و هى التلال الصغار،واحدها نبك،أى هى أرض مستويه لا ارتفاع فيها و لا انخفاض.أ ه.

ستختلف من بعضها إلى بعضها،فهناك تسيير لبعض الجبال،و هناك ظاهره نسف للبعض الآخر (۱)فهل يا ترى التسير و النسف ظاهره واحده،أم أن هاتين ظاهرتان مختلفتان؟؟!! الواقع الذى عليه أغلب الآراء أن التسيير الذى تطيعه الجبال فتسير سيرا حقيقيا غير النسف التى تبس فيه الجبال بسّا؛فتكون هباء منبثا.

و اتحادهما يقتضى حمل أحدهما على المجاز،بينما يظل الآخر محمول على الحقيقه،و المجاز يقتضى قرينه لتدل عليه فى نفس الكلام.و لكن الآيات المذكوره فى النسف مفقود فيها القرينه.

إذن فالتسيير و النسف على حقيقتهما،و هما ظاهرتان تنزلان بالجبال، إما على التعاقب فيسير الجبل ثم ينسف،و أما على التقسيم:فيسير بعض الجبال و ينسف البعض الآخر،و لا ثالث لهذين الاحتمالين (۲).

لكن الاحتمال الأول تمنع منه آيه سوره النبأ: وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً إذ الجبال بعد أن انتهى بها التسيير إلى أن تفنى و تكون سرابا لا يمكن أن يلحق بها نسف،و قد انعدمت بالفعل،فلم يبقى إلا الاحتمال الثانى،و يتعين أن يكون الفناء عن طريق التسيير خاصا ببعض الجبال، و الفناء عن طريق النسف خاصا بالبعض الآخر،و هذا يقتضى أن تكون الجبال صنفين:أحدهما يقبل بفطرته التى فطره اللّه عليها أن ينسف بعدف.

۱- لقوله تعالى: وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً و نسف الجبال ورد بصريح النص القرآنى فى قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً أ ه.

۲- الاسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد أحمد الغمراوى إعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى ط.دار الكتب الحديثه ص ۳۱۴ بتصرف.

أن يصير بالرجفه كثيبا مهيلا،و الآخر يقبل بفطرته أن يسير حتى يصير سرابا.

و لا بد فى هذا الصنف من التغيير حتى يمهد للتسيير كما مهد للنسف فى الأول بالانهيار،إذ كل من الصنفين فى حالته الدنيويه راس راسخ، لا بد و أن تكوينه منذ البدايه محكوم عليه بالنسف و التسيير،و هذا لا يمكن أن يستعصى على القدره المنشئه له.

و الذى يتأمل آيتى المعارج و القارعه،يرى الدليل و البرهان على صدق و صحه هذا الاستنباط (۱).

قال تعالى فى سوره المعارج: وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ (۲)و العهن هو الصوف (۳).

قال الأستاذ الغمراوى:العهن هو الصوف المصبوغ،فالآيه الكريمه يقول إن الجبال يوم القارعه تكون كالصوف المصبوغ المنفوش،فإن لكل من هذه الكلمات الثلاث دلالتها،فالصوف من التماسك ما ليس فى الرمل الذى يكون فى الكثيب المهيل،و الذى لا شك فيه أن الجبال التى تصيرا.

۱- السابق بتصرف.

۲- القارعه(۵/۱۰۱).

۳- عند قتاده و مجاهد،و هو المختار عند الإمام الطبرى فى تفسيره(۴۶/۲۹)لكن بعضهم قيّد ذلك بالمصبوغ أو بالأحمر أو بذى الألوان،كما أورد ذلك ابن منظور فى اللسان(۱۷۰/۱۷)و القرطبى (۲۸۴/۱۸)و ما بعدها.

بـالرجفه كثيبا مهيلا غير الجبال التى تصـير كالصوف فى تكوينها و طبيعتها،و فيما تصـير إليه يوم الرجفه،و إذا كان انهيال الأولى يهيؤها للنسف،فتفككك الثانيه حتى تكون كالصوف يهيؤها للسير بالتسيير الذى تصير به سرابا (۱).

فى قوله تعـالى وَ تَكُونُ الْجِبـالُ كَـالْعِهْنِ مقصود بهـا الجبـال الملونه،لاـ مطلق الجبال،و هـذا يحل لنا الإشـكال الناجم عن المعنى المتبادر إلى الذهن من فهم الجبال على إطلاقها فى هذا النص و غيره من نصوص الآيات السابقه.

و الجبـال يوم القيـامه بين يـدى الساعه ينتهى أمرها إلى الزوال،و لكن ليست جميعا فى زوالها تكون على وتيره واحـده أو بطريق واحده فبعضها يصير كثيبا مهيلا،و البعض يصير كالعهن،و الآخر يكون كالعهن المنفوش (۲).ف.

۱- الإسلام فى عصر العلم،للأستاذ محمد أحمد الغمراوى،إعداد الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى ص ۳۱۵ بتصرف.

۲- المرجع السابق بتصرف.

رأی الشیخ محمّد عبده و مناقشته

فی قوله تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها بأن الحق سبحانه و تعالی جعل کل کوکب من الکواکب من الکون بمثابه لبنه من بناء سقف أو قبه أو جدران تحیط بک،ثم شد هذه الکواکب بعضها إلی بعض بتأثیر الجاذبیه الأرضیه أو ما یماثلها من الجاذبیات الأخری،کما تربط أجزاء البناء الواحد بما یوضع بینهما مما تتماسک به.

و هذا التفسیر العلمی الدقیق نال قبولا و استحسانا من جماهیر المتخصصین فی العلوم الکونیه و الفلکیات (۱).

و لم یکن رأی الشیخ محمد عبده هذا مجرد ظنون،أو محض تخییلات و لکنها حقائق علمیه (۲)وصل إلیها الإمام محمد عبده باطلاعه علی

۱- المصدر السابق بتصرف و زیاده.

۲- من ثم وجب علی الذی یتعرض لربط هذه المستحدثات العلمیه المعاصره بإشارات القرآن الکریم أن یتحقق و یتیقن من صحتها،و ثبوتها،و إجماع جمهره المتخصصین علیها.

المستحدثات العلميه و توفره على هذا الجانب الحيوى من العلوم الفلكيه و لا سيما اليقينيه التى قطع العلم بحقيقتها.

و فى قوله سبحانه و تعالى: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها استفهام تقريع و توبيخ،و المقصود منه،و المراد به أن يقول:هل أنتم يا معشر المشركين أشق و أصعب خلقا،أم خلق السماء العظيمه البديعه؟؟ (۱).

و قد نبههم على أمر يعلم بالمشاهده،و ذلك لأن خلق الإنسان على صغره و ضعفه،إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها و عظم أحوالها يسير،و إذا كان كذلك فإعادتهم سهله فكيف ينكرون ذلك؟كقوله عالى: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ (۲).

و قال تعالى أيضا: أَ وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلّاقُ الْعَلِيمُ (۳).

عود إلى رأى الإمام محمد عبده رحمه اللّه عنه عن الجاذبيه العامه و أثرها فى بناء السماء مما نبه اللّه عليه و أشار إليه فى آيات التنزيل،إذ أن كلا منها يدل على جانب من مميزاتها للّه فيه آيه تهدى إليه سبحانه و تعالى (۴).ف.

۱- راجع تفسير الشيخ الصابونى بتصرف(۱۶۸۵/۳۰).

۲- انظر التفسير الكبير للفخر الرازى(۴۳/۳۱).

۳- و معنى هذه الآيه الشريفه:أى جعلها عاليه البناء،بعيده الفناء،مستويه الأرجاء،مكلله الكواكب فى الليله الظلماء.راجع ابن كثير(۴۶۸/۴)بتصرف.

۴- الإسلام فى عصر العلم ص ۳۶۶ بتصرف.

و قد أوضح جل شأنه الفرق بين الجاذبيه السماويه العامه،و بين الجاذبيه الأرضيه،و لا يمكن أن يصل إلى لطائف الإشارات،و دقائق المعانى إلا أرباب الفصاحه و البيان.و الذى يتأمل قوله تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها (۱).

ففى قوله تعالى بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها فى خلق السماء و رفعها لطيفه علميه دقيقه إذ أنه لو قال(بغير عمد)فحسب،لكان هذا نفيا مطلقا للعمد،مرئيه و غير مرئيه،و النفى المطلق يخالف الواقع الذى علم اللّه أنه سيهدى إليه خلقه و عباده بعد حين،فكان من الإعجاز الدقيق أن يقيد اللّه نفى العمد فى الخلق و الرفع بقوله(ترونها)و الضمير المنصوب فى (ترونها)يرجع أولا إلى أقرب مذكور و هو(عمد)فيكون المعنى(بغير عمد مرئيه)أو(بعمد غير مرئيه)أى بعمد من فطرتها و تكوينها أ لا ترى للنظر (۲).

لكن الضمير إذا أعيد إلى السماء كان المعنى أن السماء ترونها مخلوقه مرفوعه بغير عمد،و تكون العمد هى ما يعهده الناس فى أبنيه الأرض، كما أن نفيها بهذا المعنى عن السماء المرفوعه أيضا أمر عجيب لا يقدر عليه إلا اللّه،و كلا الوجهين مفهوم من التعبير القرآنى،و إن كان الأولى فى اللغه هو الوجه الأول الذى يحوى الإعجاز العلمى،إذن فالوجهانر.

۱- الرعد(۲/۱۳).

۲- السابق ص ۳۶۷ بتصرف و زياده.و المعروف أن الفعل المضارع فى اللغه العربيه يشمل الحال و المستقبل،أو هو حال مستمر،لأن البشر أجمعين مخاطبون به فى كل عصر و مصر.

كلاهما مرادان بالتعبير الكريم إذ لا مانع من أحدهما (۱)،و الإمام الزمخشری (۲)فهم المعنيين على التخيير،و إن أعطى الأولويه للمعنى المستفاد من جعل(ترونها)صفه للعمد،أی بغير عمد مرئيه،يعنى أن عمدها لا ترى و هى إمساكها بقدرته.و لكن الفخر الرازی فرضى فقط بالرأی الثانى فقال:إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أی لها عمد فى الحقيقه إلا أن تلك العمد«هى قدره اللّه تعالى و حفظه و تدبيره و إبقاؤه إياها فى الحيز الحالى،و أنهم-يقصد الناس-لا يرون ذلك التدبير و لا يعرفون كيفيه ذلك الإمساك (۳).

و إذا رجعنا إلى رأی إمام المفسرين المعاصرين الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (۴).

قال الشيخ محمد عبده:البناء ضم الأجزاء المتفرقه بعضها إلى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى يتكون منها بنيه واحده،و هكذا صنع اللّه بالكواكب،و صنع كلا منها على نسبه من الآخر مع ما يمسك كلا فى مداره،حتى كان منها عالم واحد فى النظر،و سمى باسم واحد هو السماء التى تعلونا،فقوله«صنع كلا منها على نسبه من الآخر»إشاره إلى تقدير نسب المسافات ثم الكتل،و كنّى عن الحركه و الجاذبيه بقوله:«مع ما يمسك كلا فى مداره»لكنه صرح بها فى تفسير قوله تعالى:).

۱- الإسلام فى عصر العلم ص ۳۶۷ بتصرف.

۲- انظر الكشاف(۳/۲۳۰)ط.دار المعرفه.بتصرف.

۳- راجع التفسير الكبير للفخر الرازی(۲۵/۱۴۴)بتصرف.

۴- النازعات(۷۹/۲۷).

وَ السَّماءِ وَ ما بَناها (۱) إذ يقول:«و أنت إنما تتصور عند سماعك لفظ السماء، هذا الكون الذى فوقك،فيه الشمس و القمر و سائر الكواكب تجرى فى مجاريها و تتحرك فى مداراتها.هذا هو السماء و قد بناه اللّه أى رفعه و جعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزله لبنه من بناء سقف أو قبه أو جدران تحيط به،و تشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبيه العامه كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينهما مما تتماسك به»أ ه.).

ص: ۱۰۸

۱- الشمس(۵/۹۱).قال المفسرون:«ما»اسم موصول بمعنى«من»أى و السماء و من بناها،و المراد به اللّه رب العالمين.راجع تفسير الشيخ الصابونى(۱۷۳۵/۳۰).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹